

الفصل الأول

للذهب المالكي انتشارا وسيادته زمن دولتي مالي وصنغي

- ١- مرحلة الذبوع و الانتشار "دولة مالي"
- ٢- مرحلة سيادة المذهب المالكي "دولة صنغي"

تبدأ مرحلة الذبوع والانتشار للمذهب المالكي في بلاد السودان الغربي بظهور دولة مالي الإسلامية التي قامت في تلك البلاد وظهرت كقوة بارزة على الساحة السياسية بعد انهيار دولة غانة عام (٦٠٠هـ / ١٢٠٣م) على أيدي قبائل الصوصو^(١). مما أحدث فراغاً سياسياً في المنطقة، الأمر الذي دفع الأقاليم الإفريقية التي كانت تنضوي تحت لواء غانة إلى تكوين كيانات سياسية مستقلة، تصارعت فيما بينها على السلطة والسيادة إلى أن آل الأمر أخيراً إلى قبائل الماندنغو^(٢) المسلمة القاطنة في إقليم كانجابا، وهذه القبائل هي التي يرجع إليها الفضل في إنشاء مملكة مالي الإسلامية التي ميزها عن غيرها ذلك الدور الكبير الذي نهضت به من أجل

(١) الصوصو " فرع من الفولانيين هاجر من تكرر واتجه شرقاً إلى إقليم كانابا في حوض نهر النيجر، حيث أسس طبقة حاكمة ودولة توسعت فيما حولها في نهاية القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي، والصوصو قاموا بتحطيم إمبراطورية غانة الإسلامية، عام (٥٩٩هـ / ١٢٠٣م)، واصطدموا بدوله مالي النامية في كانابا، أنظر إبراهيم على طرخان: إمبراطورية غانة الإسلامية، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، القاهرة، ١٩٧٠، ص ٧٦، ٧٧ ويظهر من خلال الرواية الشفوية، أن شعب الصوصو بقيادة "سومانجورو" كانت له طموحات سياسية كبيرة في بلاد السودان، ذلك أنهم بعد إخضاع مملكة غانة وربما كذلك بلاد التكرور، توجهوا نحو الجنوب للسيطرة على بلاد مالي حيث مناجم الذهب، وتمكنوا من بسط نفوذهم على قبائل الماندينغ لبضعة عقود، أذاقوهم خلالها مرارة القهر والتسلط، وقد كان من نتائج سياسة العنف التي مارسها سوما نجورو إزاء الماندينغ والشعوب الأخرى الخاضعة له، أن تعمق الإحساس لدى القبائل السودانية بضرورة توحيد صفوفهم وجمع كلمتهم ضد الصوصو، أنظر أحمد الشكري: إمبراطورية مالي، ص ١٧٩.

(٢) ومؤسسو دولة مالي هم قبائل الماندنغو، والتسمية المتداولة بين قبائل الماندنغو هي: المانكا، أو المانداكا، أو الماندينغ أو ماننج، أو ماننجا، أو مانندج، وهي كلها متقاربة، وقد سادت هذه القبائل لبضعة قرون في المنطقة الفسيحة الممتدة بين نهر النيجر والمحيط الأطلسي، في الوديان العليا لنهرى السنغال، وامتدت نحو الجنوب إلى حوالي خط عرض ٥٩ شمالاً، ولا توجد سنها جماعات مبعثرة في مناطق أخرى بحوض النيجر وما حوله، أنظر إبراهيم على طرخان: دراسات في التاريخ القومي

الإفريقي، مرجع سابق، ص ٢٦، ص ٢٧

توحيد القبائل الزنجية داخل ولايات أو وحدات أو ممالك ، وكذلك دورها البارز في نشر الإسلام والدعوة له في جميع بلاد السودان الغربي^(١) في الفترة ما بين (٦٢٨ - ٨٣٤ هـ / ١٢٣٠ - ١٤٣٠ م) .

ولهذه الدولة منذ فجر ظهورها ما لا يقل عن ثماني أسر حاكمة لا يُعرف عنها إلا القليل مثل أسرة كوروما ، وأسرة ديارا ، وأسرة مركو ، وأسرة كامارا ، وأسرة باكابوكو ، وأسرة التوريين ، وأسرة الكونانتين ، وأسرة كيتا^(٢) .

وقد قاد سندياتا كيتا^(٣) قبائل الماندنغو إلى النصر ، إذ هزم مملكة الصوصو الوثنية المنافسة بزعامة سومانكورو في معركة كيرينا الحاسمة وقتل إمبراطور الصوصو عام (٦٣٣ هـ / ١٢٣٥ م)^(٤) . وأتاح هذا النصر السيطرة على كافة الأجزاء التي كانت ضمن نطاق دولة غانة ، وأن يقيموا دولتهم التي عُرفت في التاريخ بمملكة مالي الإسلامية في الفترة ما بين (٦٣٨-٨٣٤ هـ / ١٢٣٠-١٤٣٠ م) على أنقاض هذه الدولة . وقام زعماء قبائل الماندنغو بتنصيب "سندياتا" كإمبراطور عليهم

(١) إبراهيم على طرخان : الإسلام واللغة العربية في السودان الأوسط والغربي ، مجلة جامعة أم درمان الإسلامية ، العدد الثاني ، ١٣٨٩ هـ / ١٩٦٩ م ، ص ١٧ ، ص ١٨ .

(٢) أسرة كيتا ، لم تكن هي الأسرة التي حكمت مالي ، إذ سبقتها أسر ، غير معروفه مثل هذه الأسرة غير أنها أدت دورا ما ثم اختفت من مسرح الأحداث ، أنظر ، - Joseph ki ١٣٠ zerbo. P ، وللمزيد عن هذه الأسر الحاكمة أنظر ، إبراهيم طرخان : دولة مالي ، ص ٣٣ ، ٣٥ .

(٣) هر سندينا كيتا ابن ناري فامغان بن ناري فامغان بن موسي كيتا المشهور بموسي إلكوي ، وقد اشتهر سنديانا بلقب "ماري جاطة" ، ماري معناها الأمير من نسل السلطان ، جاطة معناها الأسد ، ابن خلدون : مصدر سابق ، ج ٢ ، ١٨٩٥ ، القلقشندي : صبح الاعشي في صناعة الإنشاء ، وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر ، بدون تاريخ ، ج ٥ ، ص ٢٩٣ .

(٤) Nobiakai AL-Nuraslaam, An Investigation of Malinke historiography (٤)

;from
studiata to Almamy Samori Toure ,Howard University ,Washington
D.C, ٢٠٠٥, p. ٢٠ .

عام (٦٣٦هـ / ١٢٣٨م) وظهر أمامهم بلباس المسلم المؤمن^(١) الذي يمثل نموذج الخليفة المسلم القوي بعد أن قدم له الزعماء آيات الولاء والطاعة.

في نفس العام الذي حقق فيه "سندياتا" انتصاره على ملك الصوصو اتخذ عاصمة جديدة لمملكته عرفت بـ (نياني) أي "المدينة الآمنة". وكانت هذه المدينة لا تبعد عن مدينة جني

إلا مسيرة بضعة أيام^(٢)، ومنها كان يتم التحكم في الأمور الاقتصادية والحربية والسياسية للدولة، وتلقب هذا الملك، بـ "مارى جاطة"^(٣).

كما استعان "مارى جاطة" بقواده في تمهيد بلاد السودان الغربي فشهدت مملكة مالي في عهده توسعا شمل كل الإمارات والممالك السودانية، فضمت إقليم التكرور، والمناطق التي كانت خاضعة لغانة، ومنطقة الأسنغي. وبانصهار هذه الأقاليم في مملكة مالي الناشئة في كيان واحد تحولت معه مالي إلى إمبراطورية عظيمة القوة والاتساع حيث مارست نشاطها في السودان الغربي كله، وحققت آمالها في الميادين السياسية والاقتصادية كافة حيث امتدت من جبال الأطلس غربا إلى بلاد الهوسا شرقا، ومن المحيط الأطلسي جنوبا وحتى الصحراء الكبرى شمالا. غير أن هذه الإمبراطورية قد بلغت أوج عظمتها وذروة مجدها واتساعها خلال القرن الثامن الهجري / الرابع عشر الميلادي، حيث انفتحت في هذا الوقت على العالم الإسلامي

(١) أحمد الشكري: الإسلام والمجتمع، مرجع سابق، ص ١٨١.

(٢) ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ج ٢، ص ١٨٩٥. ٢٧، شكلت "نياني" عاصمة مالي طيلة القرنين السابع والثامن الهجريين / الثالث عشر والرابع عشر الميلاديين، وموقع نياني، يوجد على أحد روافد نهر النيجر، وهو رافد سانكراني، أنظر، أحمد الشكري: المرجع السابق، ص ١٨٣.

(٣) ابن خلدون: مصدر سابق، ج ٢، ص ١٨٩٥.

، مما كان له الأثر الإيجابي الكبير في التعريف بمملكة مالي وكذلك نمو المؤثرات الإسلامية بها (١).

وعلى أية حال فقد استطاع " ماري جاطة " أن يوطد نفوذه في الأقاليم التي دخلت في إطار دولته ، كما شهدت دولته تطورا ملحوظا في الأنشطة كافة ، وعند وفاته سنة (٦٥٢هـ / ١٢٥٥م) كانت دولته قد امتدت من بلاد الجلف غربا عند المحيط الأطلسي إلى أواسط النيجر شرقا ، ومن فوتا جالون جنوبا إلى الغرب من كومبي صالح عاصمة غانة السابقة شمالاً ، وأصبحت مساحة دولة مالي تقدر بما يزيد عن نصف مساحة أوربا كلها تقريبا (٢) . وهكذا كان اتساع إمبراطورية مالي في عهد " ماري جاطة " قد زاد من شهرتها، وكذلك في ثرواتها مما كان له أثر بالغ في استقطاب الكثير من الوافدين إليها وفي مقدمتهم فقهاء المالكية ، مما كان سببا من أسباب انتشار وذبوع المذهب المالكي.

وجاء بعده ابنه منسا ولي (٣) (٦٥٢-٦٦٩ هـ / ١٢٥٥-١٢٧٠م) الذي وصفه القلقشندی بأنه أعظم ملوكهم (٤) فقد اعتمد على قواد أبيه ومستشاريه الذين ساعدوه في توسيع رقعه مملكته. وقد اتسمت فترة حكمه بالرخاء إلى حد ما ، وبالتوسع في المناطق المجاورة ، والسيطرة على بعض مناجم الذهب الذي يمثل مصدراً اقتصادياً مهماً فقام بغزو جنجرا ووتقارة اللتين يوجد بهما مناجم غنية

(١) احمد الشكري : مرجع سابق ، ص ١٨٠ .

(٢) إبراهيم طرخان : دولة مالي الإسلامية ، ص ٤٣ .

(٣) ومعناها السلطان ولي وهو الابن الأكبر لسنديانا ، كما عرف بالملك الأحمر نظرا لأيه كان أبيض البشرة ، مما استدل من خلاله إبراهيم طرخان بأن أسرة كيتا جاءت من اليمن ، أنظر إبراهيم طرخان : المرجع السابق ، ص ٣٥ .

(٤) القلقشندی : صبح الأعشى ، ج ٥ ، ص ٢٩٣ .

بالذهب، وضم إلى مملكته كونكودوجو، وسانى نيانجا، وسانجانان^(١)، كما زحف على بعض مناطق التكرور وتمكن من أخذ بعض الرهائن من الأسرة الحاكمة ليضمن لنفسه ولاء تلك الأسر، وكذلك أخذ رهائن من إمارة صُنغى الناشئة^(٢) وقد استمر حكمه قرابة خمسة وعشرين عاماً.

بعد وفاة منسا ولى عام (٦٦٩هـ / ١٢٧٠م) تولى زمام الحكم سبعة ملوك ضعاف^(٣)، وبدأ الضعف يتسرب إلى دولة مالي، حتى نجح ساكورة (٦٨٤ - ٧٠٠هـ / ١٢٨٥ - ١٣٠٠م) في انتزاع الحكم من أسرة كيتا، بعد انقلاب تم فيه قتل الحاكم الشرعي للبلاد، وساكورة ليس من البيت الحاكم، وإنما هو مولى من مواليهم^(٤).

وقد اتسع نطاق ملكه وقام بفتح مدينة جاو وضمها إلى مملكته، كما غزا بلاد التكرور في الغرب، وونقارة وجاو حتى أصبحت شعوب السودان الغربي تخشى بأسه^(٥)، كما شهد عهده استتباباً في الأمن والنظام، وانتعاشاً في الحياة السياسية والاقتصادية، فتوافد عليها التجار من بلاد المغرب وإفريقية^(٦) ومعهم فقهاء المالكية. وفي المرحلة الأخيرة من حكمه، قام ساكورة بأداء فريضة الحج في أيام الملك الناصر محمد بن قلاوون (٦٩٣-٧٤١هـ / ١٢٩٣-١٣٤١م). وفي أثناء عودته

(١) تقي الدين أحمد المقرئ: الذهب المسبوك في ذكر من حج من الخلفاء والملوك، تحقيق وتعليق جمال الدين الشيال، القاهرة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٥٥م، ج١، ص ١١٠.

(٢) إبراهيم طرخان: دولة مالي الإسلامية ص ٦٤.

(٣) ويقول ابن خلدون في هذا الصدد: "تولى من بعده إخوه وأتى، ثم من بعده أخوهم خليفة وكان محمقاً رامياً، فكان يرمى سهام على الناس فيقتلهم مجناً فوثبوا عليه قتلوه، وولى عليهم من بعده سبط من أسباط ماري جاطة يسمى أبا بكر، وكان ابن بنته فملكوه على سنن العجم في غمك الأخت وأبن الأخت، ولم يتسن معرفة نسبه ونسب أبيه" أنظر ابن خلدون: مصدر سابق، ج٢، ص ١٨٩٥.

(٤) ابن خلدون: مصدر سابق، ج٢، ص ١٨٩٥.

(٥) أحمد الشكري: الإسلام والمجتمع السوداني، مرجع سابق، ص ١٨٣.

(٦) ابن خلدون: مصدر سابق، ج٢، ص ١٨٩٥.

من الأراضي المقدسة قتل في تاجورة بالقرب من طرابلس عام (٧٠٠هـ / ١٣٠٠م)^(١) وبذلك أسدل الستار على حكمه الذي استمر خمسة عشر عاماً

وخلاصة القول إن هذه الشخصيات الثلاث (مارى خاظة - منسا ولي - ساكورة) قد سيطرت على مجريات الأحداث خلال (القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي)، من تاريخ هذه المملكة ، واليهم يرجع الفضل في تأسيس إمبراطورية قوية . قادرة على التحول لمنعطف جديد في تاريخها .

ثم اكتسبت مالي في عهد منسا موسى (٧١٢ - ٧٣٧ هـ / ١٣١٢ - ١٣٣٧م)^(٢) شهرة عظيمة وهو الذي تولى مقاليد الأمور ، ووصلت مالي في عهده إلى قمة مجدها وقوتها واتساعها ، ووصلت إلى أقصى ما وصلت إليه من اتساع ، وامتدت حدودها من بلاد التكرور غربا عند شاطئ المحيط الأطلسي^(٣) إلى منطقة دندى ومناجم النحاس في تكده مركز القوافل شرقاً "شرقي النيجر" ،ومن مناجم الملح في تغازا في الصحراء شمالاً إلى فوتا جالون^(٤) ،ومناجم الذهب في ونقارة جنوباً بغرب ، وحاذت الحدود الجنوبية منطقة الغابات الاستوائية^(٥) .

كما انتعشت التجارة في عهد منسا موسى وأصبحت أسواق مالي من أهم أسواق السودان الغربي كله ، وزاد من أهمية هذه الأسواق انتقال سوق الذهب إليها

(١) أحمد الشكري : مرجع السابق ، ص ١٨٥ .

(٢) بعد وفاة منسا ولي ، تولى سبعة ملوك تولوا حكم البلاد من بعده كان أشهرهم منسا موسى ، أنظر أحمد الشكري : المرجع السابق ص ١٨٤ .

(٣) وجاء وصف السعدي لمالي : " أما ملي فإقليم كبير واسع جدا في المغرب الأقصى إلى جهة البحر المحيط " أنظر عبد الرحمن السعدي ، تاريخ السودان مصدر سابق ، ص ٩ .

(٤) عبد الرحمن زكي : تاريخ الدول الإسلامية السودانية ، ص ١٠٦ .

(٥) إبراهيم طرخان : دولة مالي الإسلامية ، ص ٧٧ .

، مما كان سبباً في اجتذاب الكثير من التجار من درعة و سوس و سجلهاسة و فزان و مصر أيضاً^(١).

ذلكم هو منسا موسى الذي أشاد به وبمجده معظم الذين كتبوا عن تاريخ هذه المملكة العظيمة ، وعلى رأس هؤلاء الكتاب ، ابن بطوطة ، الذي حفلت رحلته إلى السودان الغربي بأخبار هذه المملكة ، لأنه زارها ووقف على الحالة فيها . ثم ابن خلدون الذي قال عنه أنه: " كان رجلاً صالحاً ، وملكاً عظيماً ، له في العدل أخبار تؤثر عنه ، وعظمت المملكة في أيامه إلى الغاية ، وافتتح الكثير من البلاد "^(٢).

وهكذا أصبحت مالي إمبراطورية مترامية الأطراف، بقباثلها المتعددة وثرواتها الغنية ومواردها المتنوعة ومراكزها التجارية النشيطة بالإضافة إلى مراكزها الثقافية التي أسهمت في انتشار المذهب المالكي في هذه المملكة^(٣).

وتتعدد أسباب انتشار وذبوع المذهب المالكي في السودان الغربي زمن دولة مالي ومنها جهود حكام تلك الدول في دعم وانتشار المذهب المالكي ، ومن بينهم ماري جاطة الذي أحجم عن التقدم نحو مدينه ولاته^(٤) بعد أن قضى على دولة الصوصو الوثنية رعاية لحق من لجأ إليها من المسلمين الذين هربوا من قبل أمام خطر الصوصو ومن بينهم عدد كبير من علماء وفقهاء المذهب المالكي^(٥). كما تمكن الإسلام في دولة مالي وذاع الفقه المالكي عندما تولى " منسا ولي " (٦٥٢-٦٦٩ هـ /

(١) عبد الرحمن زكي : الإسلام والمسلمون في غرب إفريقيا ، ص ٣٧.

(٢) ابن خلدون : مصدر سابق ، ج٢ ، ص ١٨٩٥ .

(٣) أحمد الشكري : الإسلام والمجتمع ، ص ١٩٠ .

(٤) ولاته هي : المعروفة في رحله ابن بطوطة باسم إيوالاين " أبوالاين وبينها وبين مالي أربعة وعشرون يوماً ، وطريقها كثير الأشجار وبها ما يشبه ثمار الأجاص والتفاح والخوخ والشمش " وأعتبرها ابن بطوطة آخر عمل مالي في اتجاه الشمال أنظر ابن بطوطة : مصدر سابق ، ص ٦٦٢ ، ٦٦٣ .

(٥) إبراهيم طرخان : دولة مالي ، ص ٤٢ .

١٢٥٥ - ١٢٧٠م) الحكم بعد وفاة أبيه "مارى جاطة" والذي بتولية الحكم تكون مالي قد قطعت صلتها بالتقليد السياسي الوثني الذي يجعل من ابن أخت الملك المرشح الوحيد لخلافة الملك بعد وفاته^(١).

وجاء "منسا ولي" الذي تأكد وعيه الديني وحرصه على التقاليد الإسلامية في أداء فريضة الحج، بعد أن سيطر على المراكز التجارية والثقافية التي كانت حافلة بالفقهاء الذين يُفقهون الناس في أمور دينهم^(٢) وكان هذا في عهد السلطان المملوكي الظاهر بيبرس الذي حكم مصر في الفترة (٦٥٨-٦٧٨هـ / ١٢٦٠-١٢٧٧م)^(٣).

وبعد فترة اضطراب وفوضى دامت سبع سنوات نجح ساكورة في اغتصاب الحكم (٦٨٤ - ٧٠٠ هـ / ١٢٨٥ - ١٣٠٠ م)، وقد اشتهر بالعدل وحسن السيرة، مما كان له الأثر الأكبر في انتشار السلم في هذه البلاد، وشجع فقهاء المالكية^(٤) على التوافد إليها من إفريقية وبلاد المغرب، وكان هذا سبباً من أسباب ذبوع المذهب المالكي وانتشاره في دولة مالي.

وبعد عصر منسا موسى (٧١٢ - ٧٣٧ هـ / ١٣١٢ - ١٣٣٧ م)^(٥) عصر الازدهار للمذهب المالكي في هذه الدولة وكان هذا بفضل جهوده المتعددة والتي قام بها لدعمه، ويرجع هذا إلى أنه كان ورعاً تقياً محافظاً على الصلوات وعلى قراءة

(١) ابن بطوطة: مصدر السابق، ص ٦٦١، القلقشندي: مصدر سابق، ص ٢٩٤، ابن خلدون: مصدر سابق، ج ٢، ص ١٨٩٥.

(٢) حسين مراد: المذهب المالكي في السودان الغربي، ص ٦٣.

(٣) ابن خلدون: مصدر سابق، ج ٢، ص ١٨٩٥.

(٤) المصدر السابق والصفحة، القلقشندي: صبح الأعشى، ج ٥، ص ٢٩٤.

(٥) عمود كعت: تاريخ الفتاش، ص ٣٨.

القرآن والذكر^(١)، كما يرجع له الفضل في بناء عدد من المساجد في بعض مدن دولته، ومن أشهرها المسجد الجامع بمدينة جاو، والجامع الكبير^(٢) في مدينة تنبكت^(٣).

ويذكر ترمنجهام^(٤) أن منسا موسى قد صبغ مالي بصبغة إسلامية واضحة بما شيده بها من مساجد، وبالاحتفالات الباهرة في المناسبات الإسلامية المختلفة، ويرعايته للعلم والعلماء.

كما كان منسا موسى صالحاً عادلاً^(٥) متمسكاً بالذهب المالكي فخوراً بالانتساب إليه، ويظهر هذا جلياً عندما مر على مصر أثناء رحلة حجه عام (٧٢٤هـ / ١٣٢٤م)، ودخل على سلطان مصر الناصر محمد بن قلاوون (٦٩٣-٧٤١هـ / ١٢٩٣-١٣٤١م) وطلب منه أن يقبل الأرض في حضرة سلطان مصر المملوكي

(١) العمري: مسالك الإبرار في ممالك الأمصار، تحقيق محمد عبد القادر خريسات، عصام مصطفى هزايمة، يوسف أحمد بني ياسين، مركز زايد للتراث والتاريخ، الإمارات العربية المتحدة، ٢٠٠١م، ج٤، ص ٥٩.

(٢) يعتبر من أقدم مساجد تنبكت وأكبرها، ولا يعرف على وجه التحديد تاريخ التشييد الأول له، ويعبر السعدي عن بناء المسجد الجامع فيقول "كان أولاً على صورة متواضعة تتناسب مع حجم السكان بالمدينة في تلك الفترة، كما يقول كذلك: "أما الجامع الكبير فالسلطان الحاج موسى" صاحب ملئ هو الذي بناه، وصومعته على خمسة صفوف والقبور لاصقة بها من خارجها في جهتي اليمين والغرب" أنظر السعدي: مصدر السابق، ص ٥٦.

(٣) مدينة تنبكت منذ نشأتها مدينة إسلامية، "ما دنستها عبادة الأوثان ولا أسجد على أديمها قط لغير الرحمن، ماوى العلماء والعابدين ومألف الأولياء والزاهدين.." وذلك لأن طوارق مغشون الذين أنشأوها كانوا مسلمين. وكانت تقدم عليها منذ ذلك الحين قوافل التجار المسلمين، ثم أقام فيها المسلمون من كل مكان، وتبعهم العلماء والفقهاء، وتتابع العمران إلى أن أضحت أعظم مدينة إسلامية في غرب إفريقية، وأغرق مركز ثقافي وتجاري، وأشهر مركز تعليمي إسلامي فيها، أنظر السعدي: مصدر سابق، ص ٢١.

(٤) Tromigham, J. S., A History of Islam in west Africa. p٧٠. (٤) Oxford ١٩٧٠,

(٥) السعدي: مصدر سابق، ص ٧، القلقشندى: مصدر سابق، ص ٢٩٥.

فرفض وأبى وقال : " أنا مالكي المذهب لأسجد لغير الله " فأعفاه السلطان الناصر من ذلك التقليد وقربه إليه وأكرمه وتحدث معه (١) .

وأمر سلطان مصر وزيره أن يعنى بالضيف الكبير وأن " يجهزه بكل ما يحتاج إليه " كما أمر بإتزاله بقصر عند القرافة الكبرى ، وأقطعه هذا القصر (٢) أي ملكه له وهو إقطاع من نوع التملك .

هكذا ذكر منسا موسى صراحة في القاهرة أنه مالكي المذهب ، لذلك سعى إلى دعم هذا المذهب في بلاده يتضح ذلك من خلال استغلال فترة إقامته في القاهرة أثناء تلك الرحلة وقيامه بشراء مجموعة من الكتب في الفقه المالكي (٣) والراجح أن من أهم الكتب التي اقتناها كتاب "الموطأ" للإمام مالك بن أنس ، و"مدونه" الإمام سحنون فقيه إفريقية، بالإضافة إلى كتاب "مختصر خليل" .

حرص منسا موسى أيضاً على الإلتقاء بفقهاء المالكية في مصر ، وحرص على دعم الصلة بينه وبين هؤلاء الفقهاء ، ومنهم القاضي المالكي شرف الدين أبو الروح عيسى الزواوي (٤) المتوفى عام (٧٤٣هـ / ١٣٤٧م) ، والذي كانت له اليد الطولي في الفقه المالكي حتى أصبح إمام هذا الفقه في مصر ، ولذلك انتهت إليه رئاسة الفتوى على مذهب الإمام مالك بالديار المصرية (٥) .

١- السعدي : مصدر سابق ، ص٧ ، القلقشندي : مصدر سابق ، ص٢٩٥ .

٢- المقرئزي مصدر سابق ، ص١٤٢ .

٣- المقرئزي : المصدر السابق ، ص١٤٣ .

Levtzion, N: Islam in west Africa Religion society and poligion to 1800, varioum, London, 1999, p185-186.

٤- العصري : مصدر سابق ، ص٧٤ ، ص٧٥ .

٥- ابن لرحون : الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب ، ص٢٨٣ .

كما التقى أيضاً منسا موسى مع الفقيه المالكي محمد بن أحمد بن ثعلب المصري المدرس بالمدرسة المالكية وقاضي المذهب ، وكان هذا اللقاء قبل توجه منسا موسى إلى مكة المكرمة لأداء فريضة الحج . وكان الحديث الذي دار بينهما فيما يبدو عن حالة المذهب المالكي في دولة مالي الإسلامية وكيفية دعم هذا المذهب في هذه الدولة بنقل مؤلفات كبار علماء المالكية بعد شرحها له لتدرس في حلقات العلم بمساجد مالي ، ولذا طلب منه منسا موسى أن يؤلف شرحاً لمختصر أبي الحسن الطليطلي في الفقه المالكي^(١) ، وبالفعل وافق ابن ثعلب على القيام بهذا الشرح ، والراجح أن هذا الشرح قد أخذه منسا موسى من ابن ثعلب بعد عودته من الحجاز إلى القاهرة بعد أن أدى الفريضة ثم أخذه معه في رحلة عودته إلى بلاده^(٢) .

وهكذا أسهم منسا موسى في ذبوع المذهب المالكي بالإضافة إلى انتشاره في بلاده بفضل ما نقله من مؤلفات وشروح لكبار فقهاء المالكية حتى يمكن القول أن دولة مالي عرفت في عهده دخول كتب كبار فقهاء المالكية .

واصطحب منسا موسى معه كذلك من أرض الحجاز عند عودته من رحلة حجه عام (٧٢٥هـ / ١٣٢٩م) الفقيه الشاعر المهندس أبا إسحاق إبراهيم بن محمد الغرناطي الساحلي^(٣) الذي قابله هناك وتوثقت العلاقة بينهما بعد أن ظهرت له

(١) أبو الحسن الطليطلي : هو علي بن عيسى بن عبيد التجيبي ، عاش خلال النصف الأول من القرن الرابع الهجري ، درس العلم في قرطبة وطليلطله وهو فقيه عالم له مختصر مشهور متفح به من كبار المالكية في عصره ، أنظر القاضي عياض : ترتيب المدارك ، ج٦ ، ص ١٧٢ ، ١٧١ . ابن فرحون : مصدر سابق ، ص ٢٩٤ ، ٢٩٥ .

(٢) حسين مراد : المذهب المالكي في السودان الغربي ، ص ٦٤ .

Hunwik, J.o :secular power and Religius Authority in Muslim society, the case of songhay , the Journal of African History ,vol.٣٧,No.٢

(١٩٩٦),p١٧٧.

(٣) هو : " أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن إبراهيم الساحلي " ويلقب بالظويجين ، ولد بقرنطرة ، ونشأ

براعته في عدة فنون منها مهارته العلمية والأدبية والفنية المتعددة حيث كان أديبا و شاعراً^(١). كما كان فقيهاً موثقاً ومهندساً معمارياً بارعاً موهوباً يعرف صنعة البناء الرفيعة وما تقتضيه وينفذها على أتقن الوجوه ، وبالفعل ذهب معه وسكن مدينة تنبكت حتى توفي بها عام (٧٤٧هـ / ١٣٤٦م)^(٢).

كما أصرح منسا موسى. معه كذلك العالم الفقيه عبد الرحمن التميمي^(٣) الحجازي الذي سكن تنبكت ، فوجدها حافلة بالفقهاء السودانيين الذين تفوقوا عليه في الفقه المالكي^(٤)، فرحل إلى مدينة فاس ، وتفقه هناك ثم عاد مرة أخرى إلى تنبكت فتوطن بها حتى وفاته بعد أن ترك أبناءً وأحفاداً أسهموا في نشر المذهب المالكي ، ومنهم حفيده حبيب الذي عاش في أواخر دولة مالي^(٥).

ولم يكن عبد الرحمن التميمي الوحيد الذي ذهب للتفقه في المذهب المالكي في مدينة فاس، وقد قام منسا موسى بإيفاد عدد من طلبة مالي للمراكز الثقافية ببلاد

فيها انظر، محمد بن شريفة: "من أعلام التواصل بين بلاد المغرب وبلاد السودان" إبراهيم الساحلي دوره الثقافي في مملكته مالي، منشورات معهد الدراسات الإفريقية ١٩٩٩م، ص ٨٣، ٨٢، ٨٤.

(١) محمد بن شريفة: مرجع سابق، ص ٨٢.

(٢) المرجع السابق: ص ١٠٣.

(٣) السعدي: تاريخ السودان، ص ٥١، أحمد بير الأرواني: السعادة الأبدية في التعريف بعلماء تنبكت البهية، دراسة وتحقيق الهادي مبروك اللالي، جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، ليبيا، ط ١، ٢٠٠١م، ص ٩٣، ٩٤.

(٤) المصدر السابق، ص ٩٤، كيف تفوقوا على عبد الرحمن التميمي، وهو من قال عنه سيدي يحيى التادلسي إذا جاء فقهاء سنكري للأخذ عنه فيقول لهم: "يا أهل سنكري كفاكم سيدي عبد الرحمن التميمي" لذلك نحن نذهب مع الرأي الذي يرى أن عبد الرحمن التميمي يبدو وأنه كان شافعي المذهب، ولهذا تفوق عليه فقهاء تنبكت المالكيين، فأضطر إلى أن يسافر ليأخذ عن فقهاء المالكية بالقيروان، انظر أحمد الشكري: الإسلام والمجتمع السوداني، ص ٢٢٥.

(٥) الأرواني: مصدر سابق، ص ٩٤، ٩٥.

المغرب ، ويقول يوسف كيوك بهذا الصدد ، إذا كانت طريق التقوى والورع تنتهي بالسودانيين إلى مكة المكرمة ، فإن طريق العلم كانت تنتهي بهم إلى فاس^(١) ولكن المصادر لم تحتفظ لنا إلا بشخصية كاتب موسى^(٢) أي الذي كان يتولى وظيفة الكتابة لمنسا موسى الذي أرسله إلى مدينة فاس لطلب العلم والفقهاء المالكي على يد كبار الفقهاء الفاسيين .

وتشجيعاً لسياسة منسا موسى على استقدام الكثير من الفقهاء من المغرب والحجاز إلى دولته ، استقدم كاتب موسى معه الفقيه عبد الله البلبالي^(٣) . وقد قامت بينهما علاقة صداقة قوية أثناء وجوده بفاس ، فاصطحبه هذا الكاتب معه إلى مالي وسكن البلبالي مدينة تنبكت ، وكان عبد الله البلبالي أول من تولى إمامة المسجد الجامع من المغاربة^(٤) . والراجح أن هذا الإمام قد أسهم في ذيوع المذهب المالكي وانتشاره فترة إقامته في تنبكت . وإلى جانب كاتب منسا موسى هناك العديد من الفقهاء الذين تفقهوا في المذهب المالكي وأسهموا في انتشاره ، ومنهم الشيخ مؤدب محمد الكابري الذي استقر بتنبكت ، وقرأ عليه العديد من طلاب العلم^(٥) والذي

(١) ١٠٩٠ .p .cit .op .L ; Islumisation , ج .

(٢) هو : الإمام سيدي أحمد كان رحمه الله عالماً عادلاً ، أنظر ، الأرواني : مصدر سابق ، ص ٩٣ ، ٩٤ ، ص ١٢٣ . عاش في منتصف القرن الثامن الهجري ، السعدي ، مصدر سابق ، ص ٥٧ .

(٣) هو : " عبد الله البلبالي ويقول السعدي : " هو جد جدتي أم والذي "جد السعدي" وهو أول البيضان ، صلى بالناس في ذلك المسجد في أواخر دولة الطوارق وفي أوائل دولة سني على ثم جاء إلى تنبكت صحبة الفقيه الإمام القاضي كاتب منسا موسى لما رجع من فاس . وخلفه في الإمامة "أنظر السعدي : تاريخ السودان ، مصدر سابق ، ص ٥٨ ، وكذلك ، أبو عبد الله الطالب محمد بن أبي بكر الصديق البرنلي الولاتي ، فتح الشكور في معرفة أعيان علماء التكرور ، تحقيق محمد إبراهيم ، محمد حجي ، دار الغرب الاسلامي ، بيروت ، ١٤٠١ هـ / ١٩٨١ م ، ص ١٥٨ ، ١٥٩ .

(٤) السعدي : مصدر سابق ، ص ٥٧ .

(٥) قرأ عليه الفقه العديد من طلاب العلم منهم الفقيه عمر بن محمد آقيت ، أنظر السعدي : مصدر سابق ، ص ٣٨ .

عاصر كثيراً من الشيوخ والفقهاء ومن بينهم عبد الرحمن التميمي الذي جاء إلى مالي صحبة منسا موسى ، كما كان معاصراً للفقهاء أندغم محمد الكبير^(١).

ومن الفقهاء الذين ساهموا في انتشار هذا المذهب الفقيه الثقة أبو عباس سعيد الدكالي والذي أقام بمملكة مالي مدة طويلة و الذي شغل خطة القضاء بعاصمة مالي أيام السلطان منسا موسى^(٢) ، وكذلك الفقيه القاضي أبو عبد الله محمد بن وأنسول الذي تولى خطة القضاء في مدينة جاو^(٣) ، والفقيه عبد الرحمن الذي كان قاضياً في نياني العاصمة أيام منسا سليمان^(٤) . كما أسهم الفقيه المفتي الحاج جد القاضي عبد الرحمن بن أبي بكر بن الحاج في ذبوع هذا المذهب خاصة أنه تولى القضاء في تنبكت زمن دولة مالي^(٥) ، وغيرهم كثير من الفقهاء الذين تفقهوا على فقه الإمام مالك ،

Usman Muhammad bugE: cit,op ,p٧٧٧٨.

(١) هو: "الفقيه أبو عبد الله أندغم حمد بن محمد بن عثمان بن محمد بن نوح معدن العلم والصلاح ومنه تناسل كثير من شيوخ العلم والصلاح منهم من جهة الإباء ومنهم من جهة الأمهات ومنهم من جهتهما معا . فهو عالم جليل قاضي المسلمين ، قال عنه أحمد بابا رحمه الله هو أول من خدم العلم من أجداده فيما أعلم وهو جد جدي لأمة أبو أم جدي" لفظ أندغم حمد من الألفاظ الدالة على التعظيم والتبجيل عند أهل غرب أفريقيا في ذلك الوقت .، أنظر السعدي : مصدر السابق ، ص ٢٧ ، وكذلك أنظر أبو بكر اسماعيل : مرجع سابق ، ص ١٩٤ .

(٢) ابن بطوطة : رحلته ، ص ٦٧٤ .

Hunwickim, J.o ; The Mid-Fourteenth Century Capital of Mali The Journal ,of African History, vol. ١٤, No.٢(١٩٧٣)p١٩٦٠ .

(٣) وهو من أهل سجلماسة ، وقد عاصر ابن خلدون وصادقه ، وأمهه بالكثير من المعلومات عن إمبراطورية مالي ، أنظر ، ابن خلدون : مصدر سابق ، ج ٢ ، ص ١٨٩٦ .

(٤) وهو فقيه من السودان ، وقابله ابن بطوطة أثناء رحلته وأثنى عليه كثيراً ، أنظر : ابن بطوطة ، رحلته ، ص ٦٧٠ .

(٥) السعدي : تاريخ السودان ، ص ٢٧ ، ٢٨ .

وكان لظهور هذا العدد من الفقهاء سبباً من أسباب ذبوع المذهب المالكي في دولة مالي الإسلامية^(١).

وعلى أية حال تعد فترة منسا موسى فترة حاسمه في تاريخ المذهب المالكي في السودان الغربي ، فقد أدت جهوده المتعددة إلى ذبوع المذهب المالكي في دولته . وقد سار على نهجه في دعم ومساندة المذهب المالكي أخوه منسا سليمان (٧٤١-٧٦١هـ / ١٣٤١-١٣٦٠م) الذي كان متفهماً في هذا المذهب^(٢).

وقد تعددت جهود منسا سليمان لنشر المذهب المالكي ودعمه ، منها قيامه بدعوة عددٍ من فقهاء هذا المذهب إلى بلاده^(٣) ، ساعد على ذلك العلاقات الودية بين دولته والدولة المرينية في المغرب الاقصى^(٤) . وقد أسهم في دعم المذهب المالكي في إمبراطورية مالي نزوح عدد كبير من فقهاء فاس إلى إمبراطورية مالي ، وقد التقى ابن بطوطة بعدد من فقهاء المغاربة أثناء رحلته إلى مالي^(٥).

وامتدت جهود منسا سليمان لدعم المذهب المالكي في دولة مالي الإسلامية إلى بناء المساجد والجوامع التي أصبحت منارة لتدريس الفقه المالكي ، وتأتى شهادة

(١) ويقول العمري : " وجلب إلى بلاده الفقهاء من مذهب الإمام مالك رضي الله عنه ، وبقي بها سلطان المسلمين ، وتفقه في الدين .. " أنظر العمري : مسالك الإبصار ، ص ٥٩ ، القلقشندى : صحيح الأعي ، ج٥ ، ص ٢٩٧ .

(٢) العمري : مصدر سابق ، ص ٥٩ .

(٣) المصدر السابق والصفحة .

(٤) عن علاقة الدولة المرينية بدولة مالي أنظر : ابن مرزوق " محمد بن مرزوق التلمساني المتوفى عام ٧٨١هـ / ١٣٧٩م " : السند الصحيح الحسن في مآثر مولانا أبي الحسن ، تحقيق ماريّا خيوسوس يعبرا ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، ١٩٨١م ، ص ٤٥٤ ، أين خلدون : مصدر سابق ، ج٢ ، ص ١٨٩٦ ، أحمد الشكري : الإسلام والمجتمع السوداني ، ص ٢٧٩ ، ٢٧٢ .

(٥) ابن بطوطة : مصدر سابق ، ص ٦٤٧ ، ٦٧٧ ، ٦٧٨ .

حسن الوزان لتؤكد هذا الأمر إذ يقول : " ولمملكة مالي مساجد كبيرة وأئمة وأساتذة يدرسون في المساجد لعدم وجود مدارس " (١).

وقد أعانت هذه المساجد الفقهاء والخطباء في نشر المذهب المالكي بين السكان عن طريق الخطب على المنابر، بالإضافة إلى دروس الوعظ بعد الصلاة مما يؤكد حرص هؤلاء الفقهاء على أداء تلك المساجد لدورها الفعال في نشر المذهب المالكي، بالإضافة إلى تفتيته الكثير من أبناء المجتمع في أمور دينهم، حيث كان أبناء هذا المجتمع حريصين كل الحرص على طلب العلم، متعطين لتعلم الفقه مع شدة حرص على أداء العبادات والمواظبة عليها، وقد شاهد ابن بطوطة ذلك بنفسه أثناء زيارته لدولة مالي (٢).

كما كان للعلاقات السياسية بين حكام مالي و المرينيين أطيّب الأثر في دعم الصلات الثقافية بين الدولتين، وترجع بداية هذه العلاقة بين عامي (٧٢٣-٧٣٧هـ / ١٣٢٣-١٣٣٧م) وكانت هذه العلاقة عاملا من عوامل انتشار المذهب المالكي وذيوعه في دولة مالي، وخاصة في عهد منسا موسى الذي نشأت بينه وبين أبي الحسن المريني (٧٣٠-٧٤٩ / ١٣٣٠-١٣٤٩م) علاقة طيبة بالإضافة إلى عظمة ملكيها ويفضل خصالهما الحميدة التي تنبع من حب الدين الإسلامي والمحافظة على شريعته، كما كانا يشتركان في حبها واحترامها لأهل التدين والعلم، والحرص على مصالح المسلمين أينما كانوا (٣). ونضيف إلى ذلك الاعتبارات الاقتصادية لتعطي علاقاتهما مرتكزات أكثر قوة بالنظر لما توفره التجارة الصحراوية

(١) الوزان " الحسن بن محمد الوزان الزياتي " ٩٥٧.٨٨٨ هـ / ١٤٨٣-١٥٥٠ م " : وصف إفريقيا، ترجمة عبد الرحمن حميدة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٥، ص ٥٣٩.

(٢) ابن بطوطة : مصدر سابق، ص ٦٧٣، ٦٧٧.

(٣) ابن مرزوق : مصدر السابق، ص ١٣٣، ١٦٩.

من أموال لخزائنها . ولذلك كان هناك أكثر من سفارة وهدايا متبادلة^(١) ، ومن هذه السفارات سفارة منسا موسى إلى أبي الحسن المريني لتهنئته بمناسبة فتحه لمدينة تلمسان عاصمة دولة بني عبد الواد ، وكان هذا في عام (٧٣٧هـ / ١٣٣٧م)^(٢) . وأحسن أبو الحسن المريني استقبال هذه السفارة ، كما قام بالرد عليها بسفارة إلى حاكم مالي منسا موسى لكنها وصلت بعد وفاته ، فأستقبلها منسا سليمان عام (٧٤١هـ / ١٣٤١م)^(٣) . وقد فاقت هديته في تلك السفارة هديته إلى الناصر محمد بن قلاوون^(٤) وعندما عادت السفارة المرينية راقبها وقد من رجال دولة مالي ، جاؤوا إلى أبي الحسن " يعظمون سلطانه ويوجبون حقه ، ويؤدون حق خضوع مرسلهم وقيامه بحق السلطان واعتقاله في مرضاته"^(٥) ، ونكتفي هنا بتسجيل حسن سياسة أبي الحسن إزاء حكام مالي وكيف استطاع كسب ود وصداقة حكامها بالدين والكلمة الطيبة " أو ليسوا إخوة في الدين حتى يُتعايق فاس نياني وتحضنها وترعاها بحق أسبقيتها للإسلام"^(٦) .

كما كان هناك سفارة أخرى بعد أن ضم أبو الحسن المريني بلاد ومُلك الحفصيين إلى ممتلكاته، وحيث مهد إفريقية ودخل تونس العاصمة عام (٧٤٨هـ - ١٣٤٨م) فانتهمز منسا سليمان الفرصة وأرسل سفارة للسلطان المريني بمناسبة فتحه الجديد^(٧) . واستمرت العلاقات الودية بين مالي و المرينيين في تفاعل مستمر فخرج

(١) ابن خلدون : مصدر سابق ، ج٢ ، ص ١٨٩٥ .

(٢) ابن مرزوق : مصدر سابق ، ص ٤٥٤ .

Levtzion ,N: Islam in west Africa, p ٣٤٩٣٥٠ .

(٣) ابن مرزوق : مصدر سابق ، ص ٤٥٤ .

(٤) ابن خلدون : مصدر سابق ، ج٢ ، ص ١٨٩٦ .

(٥) ابن مرزوق : مصدر سابق ، ص ٣٥٥ ، ٣٨٥ ، أحد الشكري : الإسلام والمجتمع ، ص ٢٧٤ .

(٦) السعدي : تاريخ السودان ، ص ٥٧ .

(٧) ابن خلدون : مصدر سابق ، ١٨٩٦ .

ابن بطوطة من فاس متوجها إلى مالي عام (٧٥٢هـ / ١٣٥٢م) وتصادف وجوده في مالي أثناء وفاة أبي الحسن فحضر مراسم عزاء أبي الحسن الذي أقامه منسا سليمان ترحا على روحه وكان هذا لعظيم مكانته عنده^(١).

وقد استغل حكام دولة مالي الإسلامية تلك العلاقات الودية في دعم الحياة الدينية والثقافية في دولتهم ، فأوفدوا طلاب العلم إلى فاس عاصمة دولة المرينيين^(٢) وخاصة إلى

جامع القرويين^(٣) ، والمدارس الوقفية التي بنيت في هذا العصر ، حيث شهدت الدولة المرينية بناء العديد من المدارس الأخرى^(٤) مما كان سبباً في رحيل كل طالب علم إليها لدراسة الفقه المالكي.

كما تعد اللغة العربية من أسباب انتشار المذهب المالكي وذيوعه في دولة مالي الإسلامية أيضا . واللغة العربية بصفتها لغة هذا الدين الإسلامي قد تغلغلت في

(١) السعدي : مصدر سابق ، ص ٥٨ .

(٢) المصدر السابق : ص ٥٧ .

(٣) جامع القرويين الذي صار مفخرة حقيقية لمدينة فاس يرجع إلى عهد الزناتين الذين خلفوا الإدارة ، الذين ارتبطوا بالأندلس ، رغبة منهم في إقامة علاقات وثيقة ، وقد اشتهرت مدينة الضفة الغربية لوادى فاس باسم عدوة القرويين نسبة إلى جامعها الذي صار أشهر مساجد المغرب الأقصى وأعرقها ، بعد أن طغى بشهرته على جامع الإدارة الحقيقي ، أنظر سعد زغلول : تاريخ المغرب العربي ، ج٢ ، ص ٥١٢ .

(٤) مثل مدرسه الخلفائين التي بناها في عام ٦٧٥هـ / ١٢٧٥م ، السلطان أبو يوسف يعقوب المريني "٦٥٦ - ٦٨٥ هـ / ١٢٥٨ - ١٢٨٦م" ، كما أمر السلطان أبو سعيد عثمان بن عبد الحق المريني "٧١٠ - ٧٣١هـ / ١٣١٠ - ١٣٣١م" ببناء مدرستين الأولى مدرسه فاس الجديدة والتي أكتمل بناؤها عام "٧٢١هـ / ١٣٢١م" ، والثانية مدرسه العطارين التي بنيت عام "٧٢٣هـ / ١٣٢٣م" ، للمزيد عن مدارس فاس ، أنظر دكتور حسين مراد : الأوقاف مصدرا للدراسة مجتمع فاس في العصر المريني ، معهد البحوث والدراسات الإفريقية ، القاهرة ٢٠٠٢م ، ص ٨٤ ، ٩٣ .

أعماق المجتمع المالي كله ، بسبب ذلك التأثير الإسلامي القوي الذي شمل سائر الحياة العامة . وأصبحت هذه اللغة لغة رسمية فعدت لغة التخاطب والتجارة في ربوع المدينة والأقاليم المجاورة لها ، خاصة بها عندما استقرت العائلات العربية والبربرية مع مرور الزمن في مالي ، وكونت أحياء خاصة في تلك المنطقة^(١). هذا بالإضافة إلى أن الكثير من الشعوب الإفريقية قد ادعت الأصول الشريفة ، كما أن مؤلفات كبار فقهاء المالكية كانت تدرس في مالي ، مما سمح لأهلها أن ينهلوا من معين اللغة العربية ، ويتعمقوا في دراستها مما أتاح لهم قراءة مؤلفات كبار فقهاء المذهب ودراساتها .

كما استخدم سكان دولة مالي الإسلامية اللغة العربية كلغة مشتركة حية في مختلف مجالات حياتهم ، الأمر الذي مكّن اللغة العربية من التأثير الفعال في لغاتهم المحلية من خلال دخول الكلمات ذات الأصل العربي في تلك اللغات المحلية . من أجل هذا لم يُخطئ سير توماس أرنولد حين قال منصفاً : " بلغت اللغة العربية وهي لغة القرآن درجة عظيمة من الذيوع والانتشار ، حتى غدت لغة تخاطب بين قبائل نصف القارة السوداء ، ثم يردف ذلك بقوله : " وهذا تقدم كبير في الحضارة الإفريقية^(٢) . وبهذا ساعدت اللغة العربية سكان السودان الغربي في الانفتاح على العالم الإسلامي الذي أصبح مفتوحاً أمامهم .

ولقد كان تأثير اللغة العربية وانتشارها بين أهالي بلاد السودان الغربي حكاماً ومحكومين كبيراً ، ويتأكد لنا مدى إتقان الحكام للغة العربية في بعض الآيات

(١) ابن بطوطة: مصدر سابق ، ص ٦٦٤ ، ٦٦٥ .

(٢) توماس أرنولد : الدعوة إلى الإسلام ، ترجمة حسن إبراهيم حسن ، عبد المجيد عابدين وآخرين ، القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٧٠ ، ص ٣٤٩ . إبراهيم على طرخان : الإسلام واللغة العربية في السودان الأوسط والغربي ، مجلة جامعة أم درمان الإسلامية ، العدد الثاني ، ١٣٨٩ هـ / ١٩٦٩ م ، دار النصر للطباعة ، ص ٣٣ ، ٣٤ .

الشعرية التي انشدها إبراهيم الساحلي في مكة المكرمة وأعجب به منسا موسى . ونستفيد من ذلك أنه كان يفقه العربية ويتذوق الشعر العربي^(١). كما جاء في مسالك الأبصار أن هذا السلطان كان يجيد التكلم باللسان العربي ، ولكنه حينما كان في مصر لم يكن يتخدد مع الرسميين إلا بواسطة ترجمان^(٢).

ومن الأدلة كذلك على انتشار اللغة العربية شواهد القبور التي اكتشفت في منطقة تادمكة^(٣) والتي ترجع إلى عام (٤٠٠هـ / ١٠٠٦م)^(٤)، بالإضافة إلى شواهد القبور المكتشفة قرب مدينه جاو والتي يرجع تاريخها أقدمها إلى (٤٨١هـ / ١٠٨٨م)^(٥) لتؤكد أن بدء انتشار اللغة العربية يرجع إلى ما قبل القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي^(٦).

وإذا كانت اللغة العربية لغة العلم والثقافة فقد كانت أيضاً لغة الحكومة والمراسلات السياسية ، فمراسلات منسا موسى إلى سلطان مصر المملوكي الناصر محمد بن قلاوون كانت تكتب بهذه اللغة . كما كان بلاط منسا سليمان يعج بالفقهاء

(١) محمد بن تشرىفة : من أعلام التواصل بين بلاد المغرب وبلاد السودان ، ص ٩٢ .

(٢) العمري : مسالك الأبصار ، ج٤ ، ص ٧١ ، القلقشندي : صبح الأعشى ، ج٥ ، ص ٢٩٥ .

(٣) تادمكة : معنى الاسم هبة مكة ، وهي أشبه بمدينة مكة ، وهي مدينة كبيرة وأحسن غناء من مدينة غانا ، وجاوا أهلها بربر مسلمون ، والمسافة بينها وبين القيروان خمسون يوماً ، أنظر : البكري : المسالك والممالك ، ج٢ ، ص ٣٧٠ ، ٣٧١ .

(٤) Hunwick , j : op.cit . p١٦ .

Fernando , Palo : histoire contre memoire epigraphie chroniques (٥) tradition orale et lieux d'oubli da ne le Sahel malleen , putication del institute des etudes Africaines Rabat ١٩٩٣.p١٨

Hunwick , j : op.cit . p١٦ . (٦)

المغاربة الذين أقاموا في دولته أو الذين دعاهم إلى بلاده لتدريس المذهب المالكي^(١) كما كان الخط العربي الذي نجده في هذه البلاد هو الخط الذي يطلق عليه الخط المغربي^(٢).

وهكذا تعددت الأسباب التي أدت إلى ذبوع المذهب المالكي وانتشاره في بلاد السودان الغربي في زمن دولة مالي الإسلامية . وبزوال تلك الدولة من مسرح الأحداث التاريخية^(٣) ، انتقلت السيادة على تلك المنطقة الحيوية إلى دولة صنغى

(١) القلقشندي : مصدر سابق ، ج ٥ ، ص ٢٩٧ .

(٢) العمري : مصدر سابق ، ص ٧٤ .

٣- بدأ سلطان دولة مالي الإسلامية في أقول مستمر نتيجة للصراع على السلطة وتفاقم الخلافات الأسرية بعد وفاة منسا موسى ، وقد زاد الأمر سوءاً انفصال صنغى في عام (٧٣٦هـ / ١٣٣٥م) ، ولم يقلح منسا سليمان في استعادتها ، كما بادت محاولات منسا موسى الثاني (٧٧٦-٧٨٩هـ / ١٣٧٤-١٣٨٧م) الرامية لإعادة صنغى إلى حظيرة مالي بالفشل ، حيث فشل وزيره القوي مارى جاطة في إخضاع أقاليم صنغى الواقعة بالقرب من جاو ، وكذلك أخفق في السيطرة على طوارق تكدا ، والجدير بالذكر أن ملوك صنغى الذين خلفوا زاكسى الذي أسلم طوعاً في مطلع القرن الحادي عشر كانوا يحملون لقب ذا ، وهم يتعمون إلى عائله ضياء التي جاءت من طرابلس واستقرت في جهات نهر النيجر ، وكان ملوك صنغى خاضعين لنبوذا مالي خضوعاً واهياً ، أنظر

Trimingham, op. cit, p٩٢/٩٦.

إلى أن انتزع على كولن حرية صنغى في عام "٧٣٧هـ / ١٣٣٦م" ، متخذاً لنفسه بدلاً من لقب ذا لقب سني ، أنظر السعدي : مصدر سابق ص ٣ ، هذا وقد ظلت عائلة سني تحكم منذ تلك الفترة وحتى عام (٨٩٩هـ / ١٤٩٣م) بعد أن أسست دولة صنغى الإسلامية كدولة استوعبت مناطق مترامية الأطراف ، وأخضعت شعوباً مختلفة ، لم يتحقق إلا في عهد سني على (٨٧٠-٨٩٨هـ / ١٤٦٥-١٤٩٢م) ، وسني على كان الحاكم رقم خمسة عشر في سلسلة ملوك عائلة سني التي هي من عائله ضياء الأمازيغية الطرابلسية ، أنظر عبد القادر زياديه ، مملكه سنغاي في عهد الاسقيين ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، بدون تاريخ ص ٢٧ ، فقد خلف ولده سني مادوجو الذي كان عسكرياً مقتدراً والذي أورثه خبرات واسعة في هذا المجال الحربي ، وتمكن سني على من إخضاع جميع المناطق الواقعة على منحنى نهر النيجر حتى مدينه جنبي الاستراتيجية ، كما توسع في أقاليم كوروما وشمال ياتنجا ويانجارا ، غير أنه وجد مقاومه عنيفة من قبائل الموسى ولم تتم له السيطرة عليها ، أنظر محمود كعت : مصدر سابق ، ص ٤٥ ،

الإسلامية وفي عهدها تحققت السيادة للمذهب المالكي وخاصة في فترة حكم الأساكي (١٨٩٨-٩٩٩هـ / ١٤٩٢-١٥٩١م).

سيادة المذهب المالكي في صنغى^(١):

يري الناظر لدولة صنغى أنها من أطول الدول عمراً ، فقد بدأت بذورها في القرن الأول الهجري / السابع الميلادي ، وهى بذلك عاصرت دولة غانة ودولة مالي الإسلامية ، وانتهت هاتان الدولتان وبقيت صنغى على مسرح الأحداث واستمرت تقوى باستمرار وتوسع ، حتى القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي ، حيث انتهت بحملة المغاربة على البلاد عام (١٠٠٠هـ / ١٥٩١م)^(٢).

وقد أصبحت مدينة (جاو) عاصمة لها منذ القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي ، وتقع هذه المدينة عند منحى نهر النيجر ، وقد أصبحت هذه المدينة من أهم مراكز التجارة والثقافة في السودان الغربي ، وهى تشبه مدينة غانة بالنسبة إلى البلاد الواقعة في أعالي النيجر^(٣). أما قبل ذلك فقد كانت عاصمتهم الأولى (كوكيا)

Michel A. Gomez: Timbukta under Imperial songhay, areconsi duration of aonomy , Spellman college , Atlanta journal of African history ١٩٩٠, printed in great Britain vol , ٣١, p٦-٨.

(١) نسبة إلى قبيلة صنغى ، وهى قبيلة كانت تسكن النيجر حول حدود الغابات الاستوائية في سنوات الميلاد ، ثم أخذت تنتقل إلى الشمال مع النيجر ، وفي القرن الأول الهجري / السابع الميلادي كانت تمتد ساكنتها حول النيجر بحوالي ١٥٩ كلم ، وتمتحن صيد الأسماك وزراعة الدخن ، وفي هذا الوقت بدأ انتظام شعبها تحت سلطة واحدة ، أنظر : عبد القادر زبانية : مرجع سابق ، ص ٢٥ .

(٢) نفس المرجع والصفحة .

(٣) حسن إبراهيم حسن : انتشار الإسلام والعروبة فيما يلي الصحراء الكبرى وشرقي القارة الإفريقية وغربها ، مطبوعات معهد الدراسات العربية ، مصر ١٣٧٧هـ / ١٩٥٧م ، ص ١٠٩ ،

Gerrit J : Dimmendaal: Lexique dendi (songhay) (Djugou,benin)avec un index francais _dendi by petr zima ,Journal of the International African Institute,vol.٦٦,no.٤١٩٩٦, p ٣٦٢.

على نهر النيجر الأدنى ، وهي تبعد عن (جاو) قرابة مائة وخمسين كيلومتراً إلى جهة الجنوب^(١).

وقد حكمتُ صنغى في البداية أسرة مؤسسها الأول هو ديا (ضياء) وأصله من اليمن^(٢) والتي ظلت تحكم هذه البلاد حتى عام (٧٣٦هـ / ١٣٣٥م). ثم انتقل الحكم بعدها إلى عائلة سني التي حكمت بين عامي (٧٣٦-٨٩٩هـ / ١٣٣٥-١٤٩٩) وعائلة سني^(٣) هي فرع من فروع عائلة ضياء السابقة الذكر ، وقد تولت عائلة سني الحكم عندما استقل بُصنغى على كلن وكان هذا في عام (٧٣٦هـ / ١٣٣٥م) وفصلها عن دولة مالي الإسلامية . إذ إنُ صنغى كانت خاضعة لدولة مالي منذ عام (٧٢٦هـ / ١٣٢٥م) حيث كان علي كولن يعيش هو وأخوه سليمان نار في عاصمة دولة مالي الإسلامية^(٤) إلى أن استطاع الأخوان الهرب

(١) عبد القادر زبادة : مرجع سابق ، ص ٢٥ ، ٢٦.

Hunwick, J. o : gao and the Almoravids Revisited : Ethnicity, political Change and the limits f Iterpreтин , The Journal of African history , vol.٣٥, No. ٢١٩٩٤, p٢٥٢.

(٢) السعدي : تاريخ السودان ، ص ٤.

Hunwick, J. o : IdeL , p ٢٥٣.

(٣) لقب " ذا " لقب " سني " بمعنى المحرر ، أنظر السعدي : تاريخ السودان ، ص ٣. بينما يرى الدكتور الأمين عوض الله أن لقب سني لا يستبعد أن يكون على كولن قد أخذ هذا اللقب ليظهر التزامه بسنة الرسول الكريم وعليه ، يكون لقب " سني " مشتق من السنة المحمدية ، أنظر : الشيخ الأمين عوض الله : العلاقات بين المغرب الأقصى والسودان الغربي في عهد السلطين الإسلاميتين مالي وسنغى ، جدة ، دار المجمع العلمي ، ١٩٧٩م ، ص ٦٦.

(٤) تطورت دولة مالي الإسلامية ، وعند عودة منسا موسى من رحلة حجه الشهيرة "٧٣٣هـ / ١٣٣٢م" رأى أن يثأر منُ صنغى فرجع على عاصمتها جاو ، وكان ملكها قد مات حديثا وخلف ولدين صغيرين هما علي كولن وسليمان نار ، فأخذها منسا موسى معه إلى عاصمته ، ويعلل السعدي ذلك بقوله : " إنه أخذها للخدمة عنده على عاداتهم فيما يختص بأبناء الملوك الذين في طاعتهم " أنظر السعدي ، تاريخ السودان ، ص ٦.

عندما بلغا مبلغ الرجال من دولة مالي ولجأ كلاهما إلى العاصمة جاو^(١) حيث لقيها الإخوان ترحيباً من الأهالي الذين استقبلوهم استقبالا كبيرا تعبيرا عن تأييدهم لها. وبالفعل تم طرد الجنود التابعين لدولة مالي الإسلامية، ثم كانت المعركة الفاصلة التي دارت عام (٨٦٩هـ / ١٤٦٤م). بين دولة مالي وصنغى والتي انتهت باستقلال الثانية عن حكم سلاطين دولة مالي، وبذلك تكون صنغى قد حصلت على استقلالها التام^(٢). وعين على كولن نفسه ملكاً على دولة صنغى الناشئة، وقد حكم من هذه الأسرة ثمانية عشر أميراً^(٣).

وهكذا ظلت عائلة سني تحكم منذ تلك الفترة حتى عام (٨٩٩هـ / ١٤٩٣م) حيث دخلت صنغى في طور الدولة الكبرى القوية حيث امتدعت مناطق مترامية الأطراف وأخضعت تحت سيادتها شعوباً مختلفة، وكان هذا في عهد علي بير الكبير سني على (٨٧٠-٨٩٨هـ / ١٤٦٥-١٤٩٢م). حيث قام بتأمين حدود دولته من الناحية الشرقية^(٤).

(١) نفس المصدر والصفحة.

(٢) فيج جى . دى : تاريخ غرب أفريقيا، ترجمة سيد يوسف نصر، القاهرة، ١٩٨٢م، ٦٢.

(٣) منهم، (١) على كلن، (٢) سليمان نار، (٣) إبراهيم كاباي، (٤) عثمان كانافا، (٥) باري كينا، (٦) محمد دع، (٧) محمد كونيجيا، (٨) محمد فارى، (٩) كارييفو، (١٠) مارق كول، (١١) ماري هاي، (١٢) ماردانو، (١٣) سليمان دام، (١٤) علي بير، (١٥) باري دع، (١٦) سني مادو جو، (١٧) سني على، (١٨) أبو بكر داعو، وكان هذا آخر حكام أسر سني على، حيث آل الحكم إلى أسر جديدة وهي أسرة الاساكي وكان ذلك في عام (٨٩٩هـ / ١٤٩٣) وللعميد أنظر: عبد القادر زبادية: مملكة سنغاي، ص ٢٦.

(٤) عندما تولى سني على مقاليد الأمور كانت دولة مالي الإسلامية تحتضر من الضعف الداخلي والضغط الخارجي التي جاءت في المقام الأول من ملوك سنغاي وقبائل الموشى، فسارع سني على بالتهام أملاك دولة مالي الواحدة تلو الأخرى، وتقدم شرقاً فأخضع إمارات الهوسا وكاتسينا وجوير وكانو وزنغفارة وزاريا، وعرج غرباً حتى استولى على يبلاد الماندنجر والبولاني، وشمالاً حتى موطن الطوارق، أنظر أحمد شلبي: موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية، ج٦، ط٤، القاهرة

وتمكن سني على هذا من إخضاع جميع المناطق الواقعة عند منحني نهر النيجر وحتى مدينة جني^(١) ، كما سيطر على مدينة والانه وإقليم التكرور حتى المحيط الأطلنطي ، وبلغت دولة صُنغِي بذلك اتساعاً لم يسبق أن بلغته من قبل ، مما نتج عنه زيادة قوتها واتساع سلطاتها السياسي والاقتصادي ، وبذلك يكون سني على بتلك الحروب والانتصارات نجح في أن يكون صاحب الفضل في تحويل مملكته الصغيرة إلى إمبراطورية إسلامية كبيرة تضاهي أكبر إمبراطوريات ذلك الوقت^(٢) .

بعد وفاة سني على عام (٨٩٩هـ / ١٤٩٣م) ، تولى ابنه الأكبر أبو بكر داعو الحكم بوصفه وريثاً شرعياً للحكم في بلدة دنغ عام (٨٩٩هـ / ١٤٩٣م) . ولكن لم يمتد حكمه للبلاد سوى بضعة أشهر ، حيث قام القائد محمد توري^(٣) أحد قادة جيوش سني على بانقلاب ضده للاستيلاء على الحكم عام (٨٩٩هـ / ١٤٩٣م) .

مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٨٣م ، ص ٢٦٢ .

(١) مدينة جني : تقع جني على مسيرة مائتي ميل إلى الجنوب الغربي من تنبكت ، وتقع على الضفة اليسرى لنهر بني ، أحد روافد نهر النيجر ، وتقوم على هضبة صخرية وسط سهل فسيح تغطيه المياه في الخريف ، ويبدو أن تأسيس مدينة جني كان حوالي القرن الثاني الهجري / الثامن الميلادي أو قبله ، أنظر السعدي : تاريخ السودان ، ص ١١ ، ابن الوزان : وصف أفريقيا ، ص ٥٣٧ .

Roderick.J: McIntosh and Susan Keech McIntosh From Siecles Obscurs to Revolutionary Centuries on the Middle Niger Author(s) World Archaeology, Vol. ٢٠, No. ١, Archaeology in Africa (Jun., ١٩٨٨), pp ١٤١-

١٦٥

,Lansine kABa , L: op,cit,p ٢٥٤.

(٢) محمد أنور توفيق : دولة سنغاي الإسلامية تطورها الاقتصادية والاجتماعي والحضاري ، رسالة ماجستير غير منشورة ، معهد البحوث والدراسات الإفريقية ، جامعة القاهرة ١٩٧٧م ، ص ٣٩ .

(٣) هو " القائد محمد توري بن أبي بكر " كان من أصل سوننكي ، كما كان ضابطاً بارزاً من ضباط جيش سني على بارو ، قام بحركة انقلاب بعد وفاة سني على ، واتخذ لنفسه لقب الاسكيا ليكون صفة مميزة لحكمه وحكم سلالته ، أنظر السعدي : مصدر سابق ص ٧١ ، ٧٢ .

وبانتهاء حكم أسرة سني الذي استمر زهاء تسعة قرون^(١) قامت أسرة حاكمة جديدة عرفت بلقب جديد هو (الأساكي)^(٢)، ويعتبر تسلم الأساكي محمد عرش دولة صُنغى الإسلامية بداية عهد انتظام المملكة وبداية سيادة المذهب

المالكي زمن الأساكي وقد تحققت السيادة في دولة صُنغى لعدة عوامل سوف نعرض لها الأول منها هو جهود بعض حكام دولة صُنغى وخاصة أساكي محمد الكبير (٨٩٨-٩٢٤هـ / ١٤٩٢-١٥٨٢م)^(٣)، وابنه أساكي داوود (٩٥٦-٩٩١هـ / ١٥٤٩-١٥٨٣م) اللذين عملا على تشجيع فقهاء المالكية في دولتهما ومنحوهما حرية مطلقة. وتنص المصادر التاريخية على أن الأساكي محمد الذي كان مالكي المذهب قد مهد الطريق لفقهاء المالكية للتمكين لهذا المذهب في دولته، ساعده على ذلك أسرته الصالحة التي نشأت في بيئة علمية أدت إلى تحمسه لعقيدته الإسلامية ولمذهبه المالكي، فأبوه كان من العلماء وأمه كانت صالحة تقيّة^(٤)، وقد وصلت به

(١) Hunwick, J. O : Gao and the Almoravids Revisited, ٢٥٤.

Usman Muhammad bugE: cit, op, p٨٥.

(٢) السعدي : تاريخ السودان ، ص ٧١ ، ٧٢. الاساكي : "أنخذ محمد تورى لنفسه لقب "الاساكي" ليكون صفة مميزة لحكمه وحكم سلالة ، ويشير السعدي إلى سبب هذه التسمية ، بقوله : "...ولما بلغ الخبر بنات سني على قالت أساكي معناه في كلامهم لا يكون إياه فلما سمعه أمر أن لا يلقب إلا به فقالوا أساكي" ومعناها المغتصب لأنه أعتصب السلطة من أبي بكر داعو ، وهذا اللقب اشتهرت به الأسرة التي أسسها.

Alice Louise Wiilard: The Songay in the West African world-System, (٢) A dissertation submitted to The Johns Hopkins University in conformity with the requirements for the degree of Doctor of Philosophy, Baltimore, Maryland, ١٩٩٩, p٣٠٢ .

(٣) السعدي : مصدر سابق ، ص ٧١ ، ٧٢.

R. W. Niezen: The 'Community of Helpers of the Sunna': Islamic Reform among the Songhay of Gao (Mali) Africa: Journal of the International African Institute, Vol. ٦٠, No. ٣ (١٩٩٠), p. ٣٩٩

(٤) حسين مراد : المذهب المالكي في السودان الغربي ، ص ٦٩.

العاطفة الدينية الإسلامية إلى أن أرجع نسبه إلى الصحابي جابر بن عبد الله الانصاري المتوفى عام (٧٨هـ / ٦٩٧م) ولهذا نشأ غيوراً محباً لدينه مصلحاً تقياً حتى إنه شكل دولته على أسس الشريعة الإسلامية^(١). ولذلك يعد من أعظم ملوك الصنغى فقد " فرج الله به على المسلمين الكروب وأزال به عنهم البلاء والخطوب ، حيث اجتهد في إقامة الملة وإصلاح أمور الأنام ، وصاحب العلماء واستفتاهم فيما يلزمه من أمر الحل والعقد"^(٢).

ويفضل أسكيا محمد تخلصت البلاد من حكم عائلة سني علي ، وكان بعض حكام هذه العائلة من المتمسكين بالتقاليد الوثنية لذلك خرج أسكيا محمد على حاكم الدولة المدعو سني بارو عام(١٨٩٨/١٤٩٤-١٤٩٣م) لأنه كان كوالده سني علي(١٨٦٩-١٨٩٨هـ/١٤٦٤-١٤٩٢م) متمسكاً بالتقاليد الوثنية ومهملاً لقواعد الشريعة الإسلامية . فالأب سني علي كان يغلب عليه طابع البداوة ، كما كان فاجراً ظالماً متلاعباً بالدين وقفاً لما ذكره كعت والسعدي^(٣) حيث حاول التوفيق بين الأنباط الإفريقية المرتكزة على السحر والشعوذة ، وبين ما جاءت به الشريعة الإسلامية . ولذلك خشي من علماء تنبكت أن يهددوا نفوذه باسم الدين، الأمر الذي جعله يضطهدهم ويعاملهم بقسوة^(٤) ، مما كان سبباً لهربوهم من مدينة تنبكت إلى مدينته ولاته^(٥).

(١) Hunwick, j :Songay Borno and Housland in sixtath century, book history of west Africa; vol٢ second edition ,London ١٩٧١,p٢٤.

(٢) السعدي : مصدر سابق ، ص ٧٣.

(٣) كعت : مصدر سابق ، ص ٤٣ ، ٤٤ ، السعدي : مصدر سابق ، ص ٦٧.

(٤) Trimingham .op .cit ,p.٩٤

(٥) يؤكد بعض المؤرخين أنها أسست منذ قرون عديدة تحت اسم بيرو، وأنها كانت على صلة قوية بإمبراطورية غانة منذ القرن الثاني الهجري / الثامن الميلادي ، قبل أن يتم تحويل أسمها إلى ولاته في بداية القرن السابع الهجري / الثالث عشر، في هذا الصدد أنظر unesco : patrimoine culturel de L,humanite ,bulletein d,informntion ne

وقد توفي سني على في ظروف غامضة عام (٨٩٨هـ / ١٤٩٢م) أثناء عودته من حملة ضد بلاد كرم^(١) بعد أن بقى في الحكم حوالي سبع وعشرين سنة وأربعة أشهر وخمسة وعشرين يوماً^(٢) وتم تنصيب ابنه الأكبر أبي بكر داع في عام (٨٩٩هـ / ١٤٩٣م) في بلدة دنغ خلفاً له^(٣)، ولكن حكمه لم يمتد سوى بضعة أشهر حيث حاصرت التحديات منذ الوهلة الأولى، فقد تطلع أحد قادة جيوش والده للحكم وهو محمد توري بن أبي بكر الذي حشد قواته وعمل على استقطاب العلماء والأنصار إلى جانبه مستفيداً من ممارسات أبي بكر داعو التي كانت لا تتفق مع روح العقيدة الإسلامية. فقد بدأ أبو بكر داعو يستمد سلطته من السحر والشعوذة والتقاليد الوثنية، ولذلك اعتبره صاحب الفتاوى في عداد الكفرة^(٤) وانتهز القائل محمد توري عدم التزام أبي بكر داعو بالتعاليم الإسلامية فخرج عليه، وجعل ذلك مبرراً لإقصائه. ونتيجة لذلك أرسل إليه محمد توري أحد كبار الفقهاء وهو الفقيه العالم الصالح محمد تل الشريف، يدعوه للإسلام ونبذ التقاليد الوثنية وإعلان ولائه للإسلام كدين للدولة^(٥).

٢٣-٢٤، ١٩٨٣، p.٢٤.

أما سكانها فيعتقدون أن تأسيسها سابق لظهور الإسلام وأنها فتحت علي يد عقبة بن نافع في القرن الأول الهجري / السابع الميلادي، والذي يوجد قبر ابنه العاقب بن عقبة بالقرب من مسجدها بحسب ماتوارثوه من روايات، أنظر الخليل النحوي: بلاد شنيق المنارة والرباط، عرض للحياة العلمية والإشعاع الثقافي والجهاد الديني من خلال الجماعات البدوية المتنقلة "المحاضر" مطبعة المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، ١٩٨٧، ص ٦٥.

(١) السعدي: مصدر سابق، ص ٧١.

(٢) محمود كعت: مصدر سابق، ص ٥٣، ٥٤.

(٣) نفس المصدر: ص ٥٢، السعدي: مصدر سابق، ص ٧١.

(٤) محمود كعت: مصدر سابق، ص ٥٣، ٥٤.

(٥) أرسل الاسكيا محمد الفقيه العالم محمد تل الشريف إلى شي بار يدعوه إلى الإسلام وهو في بلدة أنفع فأبى وامتنع وأغلظ للفقيه بالكلام وأرتكب فيه امرأ عظيماً حتى هم يقتله وصدده الله عن ذلك بقهره

وعندما رفض أبو بكر داعو الاستجابة لدعوة محمد تورى التقى به الأخير في معركة حاسمة بالقرب من جاو عاصمة صُنغى ودخل القائد محمد تورى العاصمة جاو عام (١٨٩٩هـ/١٤٩٣م) ، وبهذا تمت الإطاحة بحكمه ويحكم سلالته لدولة صُنغى والذي استمر زهاء التسعة قرون^(١).

وقد أدى قضاء محمد تورى على أسرة سني على ، إلى اعتلائه عرش دولة صُنغى^(٢) واتخذ لدولته مظهراً إسلامياً في كل معاملاتها ، كما كان متحمساً للإسلام وللفقهاء ، كل هذا أدى إلى تعميق الوجود الإسلامي في الدولة ، وأدى إلى ارتفاع شأن فقهاء المالكية الذين عادوا إلى مدينته تنبكت التي كانوا قد فروا منها زمن

وغلبته ورجع إلى الأسكيا محمد وبلغه الخبر من أبيه شي بار وما فعله به ، وبعد ذلك أرسل أسكي محمد الفقيه صالح جور إلى وشى بار ثانياً وأتاه وبلغه رسالة أسكي محمد فما أزداد إلا عتوا و آباية وامتناعاً وتجبراً وأتى بأشد من فعلته الأولى ، حيث أشار عليه وزراؤه بقتل هذا العالم حتى وقال له أذهب بقتل هذا العالم حتى تنقطع رسله ولا يرسل لك مرة ثانية ، ولكن منعه الله وقال له أذهب لمرسلك فأن رجع إلى بعد رسول منه قدمه في عنقك ، وذهب للأسكيا محمد وأخبره ما حدث ومدى آبايته من الدخول في الإسلام ، جمع الاسكيا محمد أهل مشورته من العلماء والأكابر وشاورهم في أمره فأشاروا عليه بإرسال رسول ثالث يداريه ويلين له في الكلام لعل الله يهديه إلى الإسلام فأرسل الفقيه القاضي محمود كعت ، فأمتمت وزاد آباية وأمر بضرب طبول الحرب وذهب وبلغ الاسكيا محمد بما حدث وأستعد للحرب وبإيعه الجميع على الموت . أنظر محمود كعت : الفتاش ، ص ٤٤ ، ٤٥ ، ٤٦ .

(١) دائرة المعارف الإسلامية : نقلها للعربية محمد الفندي ، أحمد الشتاوي ، وآخرون ، تهران ، مادة صُنغى ، مجلد ١٢ ، ص ٢٦٥

Davidson Basil: The African past , London , ١٩٧١, P٢٥.

(٢) محمود كعت : مصدر سابق ، ص ٥٨ ،

Michael A . Gomez : Timbuktu under Impetial song hay , A reconsideration Autonomy , the journal of African history , Cambridge University press , ١٩٩٠ , p٩.

، Lansine kABa: cit, op, p ٢٤٤١٢٥٦.

سني على^(١) . وبعودتهم ويفضل رعاية أسكيا محمد لهم وللفقه المالكي ، أصبحت مدينة تنبكت مركزاً مهماً للفقهاء المالكي في دولة صُنغى يقصدها الفقهاء وطلاب العلم .

وبتولي أسكيا محمد الحكم ارتفاح شأن المذهب المالكي ، فقد اشتهر بالورع والتقوى كما كان مراعياً لحرمة الدين ملتزماً باتباع أحكامه ، كما كان له ميل شديد لنشر الإسلام السني وجعله ديناً ودولة . كما كان له اهتمام كبير بالفقهاء ، يأخذ برأيهم في جميع شؤونهم ، " كان يسأل العلماء عن ستة رسول الله صلى الله عليه وسلم ويمشى على أقدامهم"^(٢) ، في أمور الدين والدنيا^(٣) ، وفي أمور السلم والجهاد .

وكان لخروج أسكيا محمد للحج عام (٩٠٢-٩٠٣هـ / ١٤٩٦-١٤٩٧م)^(٤) أثر كبير في دعم المذهب المالكي في دولته بين رعاياه ، حيث لقي أعلام الإسلام بمصر والحجاز والمغرب ، ففي مصر التقى بالإمام السيوطي المتوفى عام (٩١١ / ١٥٠٥م)^(٥) .

(١) Elspwth z, B,A: op.cit, p٣٥, Lansine kABa , L: op,cit,p ٢٥٤. (١)

z Michael A . Gomez : Ibid ,p ٨.

(٢) ومن هذا أسئلته للإمام السيوطي في مصر أثناء رحله حجة ، أنظر ، البرتل ، مصدر سابق ، ص ١١١ ، وكذلك أسئلته للإمام المغيلي ، وعن جهل علماء بلاده بالأمور الدينية ، انظر المغيلي : "محمد بن عبد الكريم" ، أسئلة الاسكيا وأجوبه المغيلي ، تقديم عبد القادر زبادية ، الجزائر ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، ١٩٧٤م ، ص ٣٢ .

(٣) كعت : مصدر سابق ، ١١ ، ١٢ .

(٤) نفس المصدر : ص ١٦ .

(٥) هو " جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ، أنظر عبد الرحمن السيوطي : الخاوي للفتاوى ، دار الفكر ، بيروت ، لبنان ، ٢٠٠٤م ، مقدمة الكتاب .

وبعد عودة الاسكيا الحاج محمد الكبير من رحلة حجه " زاد خماسه لنشر الدين الإسلامي والتمكين للمذهب المالكي فيقول الوفرائي في هذا الصدد: "فرجع إلى السودان فنصر السنة و أحيا طريق العدل وجرى على منهاج الخليفة العباسي في مقعده وملبسه وسائر أمورهِ ومال للسيرة العربية وعدل عن سيرة العجم فصلحت الأحوال"^(١).

ومن ذلك اهتمام الأسكيا الحاج محمد الكبير بعد رجوعه من رحلة الحج بمحاربة الإمارات الوثنية ، مما كان له أثر كبير في سيادة وتمكين المذهب المالكي ، وخاصة بعد أن أصطحب معه الفقيه الصالح " مور صالح جور" ليبين له أحكام الجهاد في سبيل الله وفق المذهب المالكي^(٢)، فخرج عام(٩٠٤هـ / ١٤٩٨م) للجهاد ضد دوله الموشى الوثنية^(٣) وقد قام بإرسال الفقيه الصالح مور صالح إلى سلطان الموشى يدعوهُ للإسلام ونبذ الوثنية أو الالتزام بدفع الجزية. غير أن سلطان الموشى رفض الاستجابة لهذا العرض ، مستجيباً لأوامر كاهن معبدهم الوثني الذي أشار عليه بعدم ترك دينه ودين آبائه وأجداده ، وما أن نقل له الفقيه العالم الصالح مور صالح ما دار بينه وبين حاكم الموشى ، لم يجد أسكيا الحاج محمد بدا من الاستعداد

(١) الوفرائي: "محمد الصغير بن الحاج بن عبد الله" نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي ، ط٢ ،

الرباط ، مكتبة الطالب ، بدون تاريخ ، ص ٩٠ . Michael A . Gomez : op,cit, p٩.

(٢) السعدي : مصدر سابق ص٧٤ ، إبراهيم طرخان : إمبراطوريه صنغى الإسلامية ، مجله كليه الآداب ، جامعه الرياض ، مجلد ٨ ، الرياض ، ١٩٨٦م ص١٦ .

(٣) دولة موشي دولة ظهرت في منعطف نهر النيجر ، وكانت ذات تنظيم سياسي وعسكري ، وأهلها من المحاربين الذين هاجموا تنبكت ، وخربوها زمن منسا موسى حاكم مالي ، وفي عهد صنغى دخلوا في صراع عسكري مع حاكمها سني على وأسكيا محمد اللذي شننا عليهم حربا باسم الإسلام ، أنظر ميشيل إيزارد : شعوب وممالك منعطف نهر النيجر وحوض الفولتا ، تاريخ أفريقيا العام ، اليونسكو ١٩٨٨م ، مجلد ٤ ، ص ٢٢٥ ، ٢٢٣ ،

للقاتل خاصة وأن أهل الموشى قد أعدوا العدة لمحاربهته . وفي هذا الصدد يقول السعدي: "فقاتلهم وقتل رجالهم وخرب أرضهم وديارهم وسبى ذرا ربهم فكل من أتى من هذا السبي من رجال ونساء صاروا مباركين ولم يكن في هذا الإقليم جهاد في سبيل الله إلا هذه الغزوة وحدها"^(١)، وإذا كان هذا العمل يدل على حرص الأسكيا الحاج محمد الكبير على نشر الإسلام وإعلاء كلمه الله ومحاربه البدع والخرافات في أيامه^(٢) فإنه يدل أيضا على تقديره لفقهاء المذهب المالكي الذين استعان بهم في كل أمور دولته مما أعان على التمكين للمذهب المالكي في ربوعها .

كما اتصل الأسكيا محمد عام (٩٠٢هـ / ١٥٠٢م) بالشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي^(٣) المتوفى عام (٩٠٩هـ / ١٥٠٩م) والذي يعد من كبار فقهاء المالكية في عصره . وذكر له الأسكيا جهل بعض علماء بلاده بالأمور الدينية واللغة العربية ، وبالتالي عدم أهليتهم الشرعية في تولى مناصب الدولة المهمة ، فكان رد الإمام المغيلي للأسكيا محمد ناصحاً له بقوله: "...وجب عليك أن تطلب عالماً من أهل الذكر، فالعلماء في هذه الأمة كالأنبياء في الأمم الماضية يجب الاعتماد عليهم والسعي إن بعدوا ..."^(٤) .

(١) السعدي : مصدر سابق ، ص ٧٤ .

(٢) المغيلي : مصدر سابق ، ص ٤٦ .

(٣) المغيلي "هو أبو عبد الله محمد بن عبد الكريم بن محمد المغيلي التلمساني ، ولد في تلمسان شمال غرب الجزائر من أسرة بربرية من قبيلة مغيلة، وهو من العلماء القلائل الذين حفظت مؤلفاتهم وبقيت ذكراهم إلى يومنا هذا في بلاد السودان الغربي وتوفى عام "٩٠٩ هـ / ١٥٠٩ م" أنظر ، أحمد بابا : نيل الابتهاج ص ٥٧٧، ٥٧٦ ،

Abd-Al-Aziz Abd-Allah Batran: A Contribution to the Biography of sheikh Muhammad Ibn, Abd-Al-kariam Ibn Muhammad, Autonomy, the journal of African history vol ١٤, no. ٢١٩٧٣ Cambridge University press

, p ٣٨١٣٩٤ .

(٤) المغيلي : أسئلة الاسكيا ، ص ٣٢ .

Abd-Al-Aziz Abd-Allah Batran: Idel , p ٣٨٢

وقد أصبح هذا التوجيه حافزاً للأسكيا محمد الكبير فعمل بكل قوة لرعاية العلماء واستقطابهم ودعوتهم من جميع أنحاء العالم الإسلامي ، ويعد محمد عبد الكريم المغيلي من الوافدين إلى بلاط أسكيا محمد في مدينة جاو ، وانخذه الأسكيا محمد مستشاراً دينياً له ، كما أقام الإمام المغيلي حلقات علمية ، ومارس نشاطه في التأليف ، وكان له مناظرات دينية مع العلماء^(١) .

والجدير بالذكر أن الأسكيا الحاج محمد الكبير كان مقرباً لهؤلاء العلماء الفقهاء ، فإن دخلوا عليه أجلسهم وقربهم منه^(٢) ، وارتفعت مكانتهم عنده لدرجة أنه حضر إلى جاو قادماً من تنبكت خصيصاً لاستقبال القاضي أبي البركات عند رجوعه من الحج عام (٩٢٤هـ / ١٥١٨م)^(٣) .

وقد سار الأسكيا داوود على نهج الاسكيا محمد الكبير في التمكين والسيادة للمذهب المالكي ، وقد ساعده على ذلك أنه كان حافظاً للقرآن ، فقيهاً عالماً بأحكام هذا المذهب ، فقد قرأ كتاب "الرسالة" لأبي زيد القيرواني المتوفى عام (٣٨٦هـ / ٩٦٦م)^(٤) على يد أحد فقهاء المالكية^(٥) . وفي عهده انتشرت كتب المذهب ، بفضل اتخاذه نسخاً ينسخون له الكتب التي كان يهديها إلي العلماء والفقهاء . كما قام بإنشاء

(١) حسين مراد : المذهب المالكي في السودان الغربي ، ص ٧٠ ،

usman Muhammad bugE : cit,op,٨٦.

(٢) محمود كمت : مصدر سابق ، ص ١١ ، ٥٥ .

(٣) السعدي : مصدر سابق ، ص ٧٦ .

(٤) ابن أبي زيد القيرواني (أبو محمد، عبد الله بن أبي زيد عبد الرحمن النغزايوي القيرواني) ولد عام "٣١٠هـ / ٩٢٢م" شيخ المالكية بالمغرب، كان إماماً بارعاً في العلوم ، واسع الثقافة والإطلاع متبعاً طريق السلف داعياً إليه بالقلم واللسان والعمل، كثير الحفظ واسع العلم والرواية فصيح اللسان والقلم يقول الشعر ويحجده مع صلاح وورع وعفة.

(٥) محمود كمت : مصدر سابق ، ص ٩٤ ، ٩٥ .

خزائن الكتب^(١)، حيث كانت الكتب هوايته المفضلة والتي كان يقدمها للعلماء والعارفين ليعين بذلك طلاب العلم على الاطلاع على كتب المذهب.

كما كان الأسكيا داوود شديد الكرم والاحترام للفقهاء وكذلك كان كثير الاحتفاء بهم، ومن ذلك استقباله الحار للقاضي محمود كعت حينما قدم إلى جاو حيث أكرمه كرما يليق بالعلماء^(٢)، كما كان يزورهم إذا مرضوا، ويستمر في عيادتهم إلى أن يتماثلوا للشفاء^(٣).

ويرجع العامل الثاني لسيادة المذهب المالكي في دولة صنغى إلى تولى عدد من فقهاء المالكية عدداً من الخطط الدينية والتي يأتي في مقدمتها خطة القضاء والفتيا. وكان يعين هؤلاء الفقهاء (المفتين - القضاة) أسكيا، وهم بذلك تابعون للسلطة المدنية، ومع ذلك فإنهم كانوا في الأحكام التي يصدرونها مستقلين تماما يعتمدون

(١) المصدر السابق والصفحة، إبراهيم طرخان، دولة صنغى، ص ٣٧.

(٢) كما كان معروفاً كذلك بالأعمال الخيرية، فقد حدث أن منح الفع عمود كعت صاحب الفتاش ما عيه بنفسه لتجهيز بناته الأربع وأبنائه الخمسة بمناسبة زواجهم وكانت المنحة ضياعا وخيولا وعبيدا و ملابس. وتكاليف العرس قد يساعد فيها السلطان إذا كان الطالب له جاء عنده وهذا ما فعله الفع كعت صاحب تاريخ الفتاش، وكان في تلك الفترة يتولى أمر القضاء في مدينة تنبكت فعندما أراد أن يزوج أولاده الخمسة وبناته الأربع أرسل إلى الاسكيا داوود مع كاتبه بكر لنبار يطلب منه أن يعينه على متطلبات العرس قائلا: (فنادى الفع كعت) كاتبه بكر لنبار فجاه فقال له أردت أن أبعثك إلى أسكي بحاجة لنا، فقال أنا رسولك بلا شك فقال قل لاسكى إنى محتاج قصدناه فإن لي أربع بنات وخمسة بنين مقبلون علي الزواج ونطلب منه أربع زرابي، وأربع إماء وأربع كلات وأن يعينني في جهازهن البنات وأما البنون أريد لهم العمامة وأريد منه كسوة العام قميصين وعماتين وقلنسوتين والمدابطين فرسا (ورمكه عتيقة) ومزرعة وعبيدا وبندها وأربعين حلابة .. ونريد منك ياأسكى الفع أن تحببه وتبلغه رسالتي، أنظر كعت، ص ١٠٨.

(٣) ومن هذا ما حدث مع الفقيه أحمد بن أحمد بن عمر أقيت عندما مرض في كاغ في بعض أسفاره وكان السلطان أسكي داوود يأتيه كل ليلة يسمر عنده حتى يرى تعظيا له، أنظر محمود كعت: مصدر سابق، ص ١١٥.

فقط علي الأحكام الشرعية المستمدة من روح الإسلام وحده ووفق مذهب الإمام مالك . ولذلك كان الأساكي حريصين في اختيارهم على أن يكون المعينون من الفقهاء البارزين في العلم و المتصلعين في الفقه المالكي^(١)، والذين يتمتعون بالورع والصلاح والزهد .

ويرجع الفضل إلى أسكيا محمد في تنظيم القضاء في دولته ، إذ أكثر من القضاة بحيث لم تخل مدينة من المدن الكبرى من قاضي مثل تنبكت وجاو وجني وغيرها من المدن، إذ إنه عين في كل بلد من بلاده قاضيا^(٢) يفصل بين الناس وفق الشريعة الإسلامية . وقد تولي قضاء دولة صُنغى الإسلامية عدد من القضاة ممن اتصفوا بالعدل وحسن السيرة . ففي مدينة تنبكت تولي القضاء قضاة ينتمون إلى عائلة أقيت ، ويأتي في مقدمتهم الفقيه القاضي محمود بن عمر بن محمد أقيت (١٦٨-٩٥٥هـ / ١٤٦٣-١٥٤٨م)^(٣) ، وكان قد عينه أسكيا محمد عام (٩٠٤هـ / ١٤٩٨م) لاشتهاره بالعلم والصلاح والفقه^(٤) .

(١) وقد أُنسِمَ تعاملهم مع المذهب بالساعات الآتية :

"أ" التزام نصوص المذهب وعدم الخروج عنها إلى غيرها إلا ما كان على سبيل الاستئناس عند من تبيات لهم متانة العلم وسعة الأفق من المفتين .

"ب" الإلتناء والقضاء بالقول المشهور في المذهب ، وعدم الخروج عنه إلا فيما ندر

"ج" طفيان طابع التقليد في الإلتناء والقضاء وندرية طابع الاجتهاد ، أنظر الفكر السامي : ج ٤ ، ص ٣١٨ .

(٢) محمود كعت : مصدر سابق ، ص ٥٩ .

(٣) أحمد بابا : " أحمد بن أحمد بن عمر أقيت ت ١٠٣٦هـ / ١٦٢٧م " نيل الابتهاج بتطريز الديباج ،

تقديم عبد الحميد عبد الله المرماه ، مكتبة الدعوة الإسلامية ، طرابلس ، ليبيا ، ط ١ ، ١٩٨٩م ، ص

٦٠٧ ، السعدي : مصدر سابق ، ص ٣٨ ، الأرواني : مصدر سابق ، ص ٩٠ .

(٤) السعدي : مصدر سابق ، ص ٣٨ ، محمد بن مخلوف : شجرة النور الذكية في طبقات المالكية ، دار

الفكر ، القاهرة ، بدون تاريخ ، ص ٦٠٤ ، ٤٣ ، Levzion , N : Islam in west Africa , p ٤٣ .

كذلك كان حال القضاء في مدينة جنبي^(١) ، فقد تولى عدد من فقهاء المالكية منصب القضاء هناك ، منهم فودي محمد بن سانوا الونكري ، وكان فقيهاً وعالمًا كبيراً ، وصلت شهرته العلمية وصلاحه إلى أسكيا الحاج محمد الكبير فولاه قضاء مدينة جنبي عام (١٤٩٨ هـ / ١٤٩٨ م) بعد عودته من الحج^(٢) .

أما قضاة مدينة جاو فقد تولى خطة القضاء فيها الفقيه القاضي محمود كعت الذي كان معاصراً للأسكيا محمد الكبير و أسكيا داوود ، وشغل منصب القضاء نظراً لشهرته الواسعة في الفقه وكذلك لسعة علمه^(٣) .

كما تولى فقهاء المالكية خطة الفتوى وهي خطة ضرورية للناس كافة حيث يحتاجونها في مختلف مناحي الحياة ، سواء في العبادات أو المعاملات . ويعد محمد بن عبد الكريم المغيلي من أهم من تولوا هذه الخطة في عهد أسكيا الحاج محمد الكبير ، منذ أن وصل إلى جاو عاصمة دولة صُنفي في عام (١٤٩٨ هـ / ١٤٩٨ م) . فقد وجه له أسكيا الحاج محمد الكبير عدة أسئلة مهمة تتناول مسائل اجتماعية ودينية وسياسية ،

(١) مدينة جنبي من أهم المراكز الثقافية في السودان الغربي ، تتمتع بموقع ممتاز في جزيرة وسط المياه على أحد روافد نهر النيجر وتقوم على هضبة صخرية لها سهل فسيح تغطية المياه في الخريف ثلاثة أشهر من فيضان نهر النيجر وتقع على مسيرة مائتي ميل إلى الجنوب الغربي من تيبكت ، وهي مدينة قديمة جدا يرجع تأسيسها للقرن الأول الهجري ، وقد وصلت مدينة جنبي درجة من الازدهار والثقافة جعلتها تحتل المركز الثاني بعد مدينة تيبكت ، لذلك كان الاسكيا يتمنون بها ويعينون لها القضاة الصالحين ، ويساعدون هؤلاء القضاة على بناء مأوى لطلاب العلم وبناء المساجد . أنظر السعدي : تاريخ السودان ، مصدر سابق ، ص ١١ ، ١٢ ، ١٦ ، ١٧ .

(٢) محمود كعت : مصدر سابق ، ص ٥٩ ، السعدي : مصدر سابق ، ص ١٨ .

(٣) مادهور بانيكار : الوثنية والإسلام ، ترجمه وتعليق أحمد فؤاد بليغ ، المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة ، ط ٢ ، ١٩٩٨ م ، ص ٥٤٧ .

ومن خلال أسئلة الأسكيا محمد يتضح مدى حرصه على إصلاح حال البلاد وفق الشريعة والمذهب المالكي^(١).

أما العامل الثالث الذي أعان في تمكين المذهب المالكي وسيادته فهو ازدهار تدريس الفقه المالكي على يد عدد من فقهاء السودان الغربي . وقد نبغت أسرتان كبيرتان في هذا المجال ، الأسرة الأولى أسرة أقيت والأسرة الثانية أسرة بغيغ ، بالإضافة إلى عدد آخر من فقهاء المالكية من غير هاتين الأسرتين .

ويأتي على رأس أسرة أقيت الشيخ الفقيه عمر بن محمد أقيت المتوفى عام (٩٢٩ هـ / ١٥٢٢ م) والذي فر من مدينة تنبكت بسبب اضطهاد حاكم صنغى سني على لفقهاء هذه المدينة ، وظل في مدينه ولاته التي رحل إليها حتى وفاته يدرس الفقه فاستفاد الطلاب منه استفادة كبيرة^(٢) . وكان للأسرة الثانية وهى أسرة بغيغ جهود كبيرة في مجال التدريس ساهمت في تحقيق سيادة المذهب المالكي في تلك البلاد . ويأتي على رأس هذه الأسرة القاضي الفقيه محمود بن أبى بكر الجنوى بلدا الونكرى أصلا ، وهذا الفقيه العالم والد كل من الفقيهين أحمد بغيغ المتوفى عام (٩٧٨ هـ / ١٥٧٠ م)^(٣) والفقيه محمد بغيغ (٩٣٠-١٠٠٢ هـ / ١٥٢٣-١٥٩٣ م) . والأخير من أعلام المذهب المالكي وهو أستاذ ومعلم للفقيه أحمد بابا التنبكتى^(٤).

(١) تذاكر مع الاسكيا الحاج محمد في جملة من المسائل الفقهية وألف في السودان عشرات الكتب والشروح أضاعت الحياة العلمية في السودان الغربي . أنظر أحمد بابا : نيل الابتهاج بتطريز الديقاج ، مصدر سابق ص ٥٧٦ ، ٥٧٧ ، كما كان مفتيا ورأساً لسياسة الاسكيا الحاج محمد ، حيث ألف له كتابا أطلق عليه أسئلة الأسكيا وأجوبة المغيلى ، الاروانى : السعادة ، مصدر سابق ، ص ٨٥ . وللمزيد عن هذه الخطط الدينية أنظر الفصل الثالث من هذه الدراسة .

(٢) السعدي : مصدر سابق ، ص ٣٧ ، أنظر الاروانى : مصدر سابق ، ص ٨٣ ، ٨٢

(٣) السعدي : مصدر سابق ، ص ٢٩ ، البرتلى ، مصدر سابق ، ص ٢٨ .

(٤) أحمد بابا : مصدر سابق ، ص ٦٠٢ .

وكان العامل الرابع لسيادة المذهب المالكي في بلاد السودان الغربي زمن دولة صنغى هو قيام الكثير من فقهاء المالكية في تلك البلاد بالشرح والتعليق على أمهات الكتب في الفقه المالكي . وكان لانتمائهم لمذهب الإمام مالك أثر كبير في تأليف المختصرات والشروح والحواشي والتعليقات على مؤلفات هذا المذهب ، وخاصة مختصر خليل الذي يعتبر مؤلفه هو حامل لواء مذهب الإمام مالك في زمانه بمصر ، والكتاب يضم المشهور من الآراء مجردا من الخلاف في فروع فقهية كثيرة جدا مع الإيجاز البليغ ، وقد حظي مختصر خليل هذا بنصيب كبير من الدراسة والتأليف فألفوا عليه الحواشي والتعليقات ، منها تقييد أو شرح وضعه الفقيه محمد بن أحمد بن أبي محمد التازختى المتوفى عام (٩٣٦هـ / ١٥٣٠م)^(١) . كما كان للفقيه محمود بن عمر بن محمد أقيت المتوفى عام (٩٥٠هـ / ١٥٤٣م) تقييد في سفرين ضما شرحاً لمختصر خليل ، ولأهمية هذا الشرح أقبل عليه طلاب العلم بالدراسة والتحصيل^(٢) . كما وضع أيضاً العاقب بن عبد الله الأنصمى المتوفى بعد عام (٩٥٠هـ / ١٥٤٣م) تعليقا على مختصر خليل^(٣) .

وقد حازت هذه المؤلفات الفقهية لهؤلاء الفقهاء الكثير من الإقبال ، فسعى إلي طلبها العلماء وطلاب العلم مما أعان علي سيادة المذهب المالكي في تلك البلاد ، وكان هذا بفضل ظهور جيل من الفقهاء والعلماء أخذوا علي عاتقهم تدريس هذا المذهب والتأليف فيه ، وذلك بفضل تمسك الحكام وأعلام الفقهاء والعلماء به ومن ورائهم المحكومون كافة .

(١) المصدر السابق ، ص ١٦٨ ، ١٧١ .

(٢) السعدي : مصدر سابق ، ص ٣٩ ، ٤٠ .

(٣) أحمد بابا : مصدر سابق ، ص ٦٠٧ .